أمُّ العَفافِ (عائشة) رضي الله عنها
فضائِلها، ودفْع الشُّبهاتِ عنها

تأليف

عَبدِ الرَّحمنِ الطُّوخيِّ عَبدِ الرحمنِ عقل

أُهدي هذا الكتابَ

إلى رُوح "أمِّي" الطاهرة، أسأل الله أن يكونَ هذا العملُ مِن جريان الحَسنات بعدَ الممات لها.

إلى "أبي"، الذي ربَّاني على حِفظ القرآن، ومصاحبةِ أهل الفضل، ومُجالسةِ العلماء.

إلى "زَوْجتي" – وفَّقها اللهُ – المؤازِرةِ لي في كلِّ محنة، والمعاونةِ لي في كلِّ شدَّة.

إلى أولادي "حاتم وأرْوى"، أسأل الله أنْ يجعلَهما من العبَّاد الصالحين الأخيار.

إلى "مشايخنا وعلمائِنا" ومَن تربينا على كتبهم، ومَن انتفعنا بلفظِهم ولحظهم.

أمُّ العَفافِ (عائشة)
فضائِلُها، ودفْعُ الشُّبهاتِ عنْها

الحمدُ لله المنتصرِ لأوليائه، المنتقمِ من أعدائِه، المقدَّسِ بصفاتِه وأسمائِه، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ ، شهادةً أدَّخرها ليوم لقائه، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه خاتم وأنبيائِه، وصَفوة رُسله وأمنائه ، صلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابِه وخُلفائِه.

فلقدْ تسامَع الناسُ وبلغَهم خبرُ هذا الزِّنديق المأفون ، الذي تطاول على أمِّ العفاف بكتابٍ ألَّفه، وزيْف سطَّره، وكذبٍ رَوَّجه ، بما أسماه "..... " ، فكان لِزامًا على كلِّ مسلمٍ صادق غيور إنكارُ هذا المنكَر ؛ إمَّا بقلبه ولِسانه وبَنانه، ودحْض شُبهه وافترائِه على صدِّيقة الأمَّة، والمُبرَّأةِ الذِّمة؛ إقامةً للحُجَّة، ونُصحًا للأمة، وعُذرًا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وزوجاتِه أهلِ الصيانة والعِفَّة.

فإنَّه لا يَخْفَى على أحد مِن المُنصفين الصادقين مبلغُ ما وصَل إليه مِنَ الرِّفعة الجيلُ المسلِم، الذي ربَّاه الرسولُ محمَّد – صلَّى الله عليه وسلَّم – ونَشَّأه على مكارمِ الأخلاق، وسموِّ الأعمال، وعظمةِ الأمجاد، فأيْقَظ الشرق، وهزَّ الغَرْب، وانطلق لإنقاذِ البشريَّة مِنَ الوثنيَّة والهمجيَّة والانحطاط، وسار بالمؤمنين والمؤمنات في طريقِ المجْد والعظمة، وكان مِن أهدافه: إخراجُ الناس مِن عبادة العباد إلى عِبادة الله وحْدَه، ومِن جَوْر الأديان إلى عَدْل الإسلام، ومِن ضِيق الدنيا إلى سَعتِها.

وما أحْرانا – نحن المسلمين والمسلِمات – في هذا العصر الذي اضْمحلَّتْ فيه القِيَم، وفسدتِ الضمائر، أن نَتحدَّثَ عن عُظمائنا الأوَّلين الذين بَنَوا لنا هذا المجدَ التليد، والذِّكْرَ اللامع، والتاريخَ الناصِع؛ أملاً في الاعتبار والنهوض.

وإنْ كانتْ نماذجُ الرِّجال كثيرة، فنماذجُ النِّساء لا تقلُّ أهميَّةً من حيث الكَيْف، والمرأة المسلِمة في صَدْر الإسلام لم تكُن أقلَّ ثباتًا في دِينها من الرجال، ولا أقلَّ تضحيةً وبَذلاً في سبيل عقيدتها.

هذا مِن حيثُ الكيْف، أمَّا من حيثُ الكمُّ، فمعلومٌ أنَّ المرأة تُشكِّل نصف المجتمع، وهي التي تَلِدُ لنا النِّصف الآخَر.

لذا يجب على كلِّ مسلم عندَه حسٌّ مرهف، وإيمان صادِق، أن يَذودَ ويُدافع عن هذا الجيل، الذي ربَّاه النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – لا سيَّما زوجاتِه الأطهار، وأخصّ منهنَّ عائشة – رضي الله عنها وأرْضاها، ولَعْنةُ الله على مَن أبغضها وعاداها.

ولماذا الكلام عن عائشة – رضي الله عنها؟

لأنَّه اجتمع لها مِنَ الخصائص ما لم يجتمعْ لامرأة مثلها، وقدْ أجْمَلها العلاَّمة المحقِّق ابنُ القيم – رحمة الله – قائلاً:

ومِن خصائصها: أنَّها كانتْ أحبَّ أزواج رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – إليه، كما ثبَت عنه ذلك في البخاريِّ وغيرِه وقد سُئِل: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: ((عائِشة))، قيل: فمِن الرِّجال؟ قال: ((أبوها)).

ومِن خصائصها أيضًا: أنَّه لم يتزوَّجِ امرأةً بِكرًا غيرها.

ومِن خصائصها: أنَّه كان ينزل عليه الوحيُ وهو في لِحافها دون غيرِها.

ومِن خصائصها: أنَّ الله – عزَّ وجلَّ – لَمَّا أنزل عليه آيةَ التخيير، بدأَ بها فخيَّرها فقال: ((ولا عليكِ أن لا تَعْجَلي حتى تستأمري أبويك))، فقالت: أفي هذا أستأمِر أبويَّ؟! فإني أُريد اللهَ ورسولَه والدارَ الآخِرة، فاستنَّ بها – أي: اقتدى – بقيةُ أزواجه – صلَّى الله عليه وسلَّم – وقُلْنَ كما قالت.

ومِن خصائصها: أنَّ الله – سبحانه – برَّأها مما رماها به أهلُ الإفك، وأنزل في عُذرِها وبراءتِها وحيًا يُتْلَى في محاريبِ المسلمين وصلواتهم إلى يومِ القيامة، وشهد لها بأنَّها من الطيِّبات، ووَعَدها المغفرة والرِّزقَ الكريم، وأخبر – سبحانه – أنَّ ما قيل فيها مِن الإفك كان خيرًا لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شرًّا لها، ولا عائبًا لها، ولا خافضًا من شأنها، بل رَفَعَها الله بذلك وأعْلى قدْرَها، وأعْظَم شأنها، وصار لها ذِكْرًا بالطيِّب والبراءة بيْن أهل الأرْض والسماء، فيا لها مِن منقبة ما أجَلَّها!

ومِن خصائصها – رضي الله عنها –: أنَّ الأكابر مِنَ الصحابة – رضي الله عنهم – كان إذا أَشْكَل عليهم أمرٌ مِن الدين، استفْتَوْها فيجدون عِلمَه عندها.

ومن خصائصها: أنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – تُوفِّي في بيتها وفي يومها، وبيْن سَحْرها ونَحْرها، ودُفِن في بيتها.

ومِن خصائصها: أنَّ المَلَك أَرَى صورتَها للنبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – قبلَ أن يتزوَّجها في سَرَقةٍ حرير، فقال النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((إنْ يكن هذا مِن عند الله يُمْضِه)).

ومِن خصائصها: أنَّ الناس كانوا يتحرَّون بهداياهم يومَها من رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – تقرُّبًا إلى الرسول – صلَّى الله عليه وسلَّم – فيتحفونه بما يحبُّ في منزل أحبِّ نسائه إليه – صلَّى الله عليه وسلَّم – رضي الله عنهنَّ أجمعين؛ ا.هـ [1]

وعائِشة أوْلى نساءِ المؤمنين بذِكْر طَرَف مِن فضائلها، ونُتف من مناقبها؛ حتى يعلمَ الجيل الحالي صفاتِ هذا الجيل الذي نَشأ على عيْن رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وأيضًا حتى تُكمَّم أفواهُ الرافضة – قبَّحهم الله – الذين نالوا منها، ووثبوا على عِرْضها، فانتهكوه بالتكلُّمِ عليه بُشبهٍ أوْهى مِن خيوط العنكبوت.

ولله درُّ حسَّان بنِ ثابتٍ مادحًا أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعنه:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تَزِنُّ بِرِيبَةٍ = وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

عَقِيلَةُ أَصْلٍ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ = كِرَامُ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ

مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خَيْمَهَا = وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ بَغْيٍ وَبَاطِلِ

فَإِنْ كَانَ مَا قَدْ قِيلَ عَنِّيَ قُلْته = فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَامِلِي

وَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَائِطٍ = بِهَا الدَّهْرَ بَلْ قَوْلُ امْرِئٍ بِيَ مَاحِلِ

وَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيِيتُ وَنُصْرَتِي = لِآلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنِ الْمَحَافِلِ

وإذا نال منها الشانئون، فلسانُ الحال والمقالُ معهم قولُ عمَّار رضي الله عنه لَّما سَمع رَجُلاً نَالَ مِنْ عَائِشَةَ عِنْدَه فَقَالَ: اغْرُبْ مَقْبُوحًا مَنْبُوحًا؛ أَتُؤْذِي حَبِيبَةَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

---

1 – جلاء الأفهام (150– 152)

ولستُ متحدِّثًا عن سِيرتها ، وإنَّما هي شَذَراتٌ ووقفاتٌ أسْبَح في بِحارها، وأخوضُ في غِمارها، أسير فيها على درْب وخُطى مَن سَبَقَنا ؛ حتى يَعرف المتأخِّرُ للمُتقدِّم فضْلَه ، فيسيرَ على هديه ودربه.

وقد عملتُ في هذا البَحثِ بما وَسِعه الجَهْد، وسَمَح به الوقْت، وتوصَّل إليه الفهمُ المتواضِع، ولا أدَّعي فيه الكمالَ؛ فهو كغيره مِن جُهد البشَر فيه الصوابُ والخطأُ، والزِّيادةُ والنقصانُ، فحسْبي أنِّي اجتهدتُ، فما كان فيه مِن صوابٍ؛ فمِن الله وحْدَه، وما كان فيه مِن خطأ؛ فمِن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئانِ.

وفي ضوْء ما تقدَّم ، أحببتُ أن أضَع هذه المقدمة بيْن يدي هذا البحث ، والذي يأتي في أبواب وفصول ومباحث مُقسَّمة كالتالي:

الباب الأول : حياة الصديقة عائشة رضي الله عنها

الفصل الأول : فضائل عائشة

المبحث الأول : عائشة الفقيهة العالمة

المبحث الثاني : عائشة العابدة

المبحث الثالث : عائشة المنفقة المتصدقة

المبحث الرابع : عائشة المجاهدة

الفصل الثاني : عائشة وأثرها في حياة تلامذتها

المبحث الأول : أثر عائشة في حياة عروة

المبحث الثاني : أثر عائشة في حياة القاسم بن محمد

المبحث الثالث : أثر عائشة في حياة مسروق بن الأجدع

المبحث الرابع : أثر عائشة في حياة عمرة بنت عبد الرحمن

المبحث الخامس : أثر عائشة في حياة معاذة العدوية

الفصل الثالث : مواقف ذات عبر من حياة عائشة

المبحث الأول : أشركاني في سلمكا كما أشركتماني في حربكما

المبحث الثاني : الغيرة في حياة عائشة

المبحث الثالث : حفظ اللسان ومحاكاة فعل الآخرين

المبحث الرابع : تعامل النبي وحكمته مع عائشة

الباب الثاني : رد الشبه والافتراءت عن السيدة عائشة

الفصل الأول :الشبهات وأثرها على القلب

الشبهة الأولى : اتهام عائشة وحفصة بالتآمر على اغتيال النبي وقتله.

الشبهة الثانية : ادعاء بعض الكتاب والصحافيين أن العمر الحقيقي للسيدة عائشة رضي الله عنها حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ثمان عشرة سنة وليس تسع سنين.

الشبهة الثالثة : إن كانت عائشة خرجت تقاتل عليا فلماذا لم يُسبِهَا في معركة الجمل :

الشبهة الرابعة : أنها أذاعت سر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقال لها النبي صلّى الله عليه وسلّم: إنك تقاتلين عليًا وأنت ظالمة وإنها خالفت أمر الله في قوله تعالى: { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ }.

الشبهة الخامسة: زعم بعض المؤرخين أن الزبير بن العوام أكره السيدة عائشة على الخروج في معركة الجمل.

الشبهة السادسة: زعم بعض الكتاب أن السيدة عائشة كانت متسلطة على من معها ومستبدة بقولها

الشبهة السابعة : مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب، ومرروها فيه مخالفة لإمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونفي صفة الاجتهاد عنها.

الشبهة الثامنة : الشبهة الثامنة : ادعاء الشيعة أن عائشة منعت من دفن الحسن بن علي عند جده صلى الله عليه

الشبهة التاسعة :ادعاء الشيعة أن عائشة رضي الله عنها هي أول من ركب السروج.

الشبهة العاشرة: ادعاء الشيعة أن عائشة لم تتب من معادتها لعلي رضي الله عنه وحربها له.

كتبه :

عبد الرحمن الطوخي عبد الرحمن عقل

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الباب الأول : حياة الصديقة عائشة رضي الله عنها

الفصل الأول : فضائل عائشة

فإن عائشةُ – رضي الله عنها – مُعلِّمة الرِّجال، ومربِّية الأجيال، وصانعةُ الأبطال، الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، زَوْجة سيِّد ولد آدم، وأحبُّ نسائه إليه، وابنةُ أحبِّ الناس إليه، المبرَّأة مِن فوق سبع سموات، ومَن رماها بالفاحشة بعدَ آية النور، فقد كَفَر بإجماع المسلمين.

فأبوها أحبُّ الرِّجال إلى رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وهي أفضلُ امرأة مِن أمَّته، فمَن أبْغض حبيبيةَ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فهو حرِيٌّ أن يكون بغيضًا إلى الله وإلى رسوله – ([2])

أثبتتْ للدنيا منذ أربعة عشر قرْنًا أنَّ المرأة يمكن أن تكونَ أعلمَ من الرجال، وأن تكون سياسيَّة، وأن تكونَ محاربة، ومجاهِدة.

وكان تزويجُه – صلَّى الله عليه وسلَّم – بها بأمْر من الله – عزَّ وجلَّ – روى البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحيهما عن عائشةَ – رضي الله عنها – قالت: قال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((أُريتك في المنام ثلاثَ ليالٍ، جاء بكِ المَلَكُ في سَرَقَةٍ مِن حرير، فيقول: هذه امرأتُك، فأَكْشِف عن وجهك فإذا أنتِ فيه، فأقول: إنْ يك هذا مِن عند الله يُمضه)).

وكان ذلك إثرَ وفاة خديجة – رضي الله عنها – فتزوَّج بها وبسودة بنت زمعة – رضي الله عنها – في وقتٍ واحد، ولكنَّه دخل بسودة، وتفرَّد بها ثلاثة أعوام، حتى بنَى بعائشةَ في شوال بعد وقْعة بدر.

---

2 – الذهبيُّ في "السير" (142/2).

وفي بيْت الزوجيَّة غَدَتْ عائشة مُعلِّمةً ومضرب المثل لكلِّ امرأةٍ على مرِّ العصور، فكانتْ زوجةً تُؤنِس الزوج، وتُدخِل السُّرورَ على قلْبه، وتُزيل عنه ما يُكابِده خارجَ المنزل من مُصارعةِ الحياة، والدعوة إلى الله.

المبحث الأول : عائشة الفقيهة العالمة

وأما علم عائشة فقد سبقت النساء: فهي بحرٌ لا يُدرك قعرُه، عُبابٌ لا تُكدِّره الدِّلاءُ، حتى صارتْ مُعلِّمة للأمَّة، ومرجعًا يُرجَع إليه في المسائل العويصة مِن العلم، هي مُعلِّمة الرجال والأجيال، حتى قيل: إنَّ ما نُقِل عنها هو ثُلُث الدِّين.

قال الذهبيُّ في "السير": "رَوَتْ عنه – صلَّى الله عليه وسلَّم – عِلمًا كثيرًا، طيبًا مباركًا فيه، وعن أبيها، وعن عمر، وفاطمة، وسعد، وحمزة بن عمرو الأسلمي، وجُدَامَة بنتِ وهْب".

ملأتِ الدنيا علمًا، فهي في روايةِ الحديث نسيجُ وحدِها، وَعَتْ من أحاديثِ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ما لم تعِه امرأةٌ من نسائه، ورَوتْ عنه ما لم يروِ مثلَه أحدٌ من الصحابة إلاَّ أبا هريرة وعبدالله بن عمرو – رضي الله عنهم أجمعين.

لقد كانتْ من أنفذِ الناس رأيًا في أصولِ الدين، ودقائق الكتاب المبين، وكانتِ الصحابة يَرْجعون إليها في كثيرٍ من المسائل، وكم استدركتْ – رضي الله عنها – على الصحابة، فإذا عَلِموا بذلك منها، رَجَعوا إلى قولها.

قال أبو موسى الأشعريُّ – رضي الله عنه –: "ما أَشْكَل علينا – أصحابَ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – حديثٌ قطُّ، فسألْنا عائشة، إلاَّ وجدْنا عندها منه علمًا"؛([3])

---

3 – أخرَجه الترمذيُّ رقم (3883)، وقال: حسن صحيح.

وقال مسروق: "رأيت مشيخةَ أصحاب محمَّد – صلَّى الله عليه وسلَّم – يسألونها عن الفرائض"؛ [4]

وقال عطاءُ بن أبي رَبَاح: "كانتْ عائشة من أفقهِ الناس، وأحسن الناس رأيا في العامَّة"؛ [5]

وقال الزهريُّ: "لو جُمِع عِلمُ الناس كلِّهم وأمهات المؤمنين، لكانتْ عائشةُ أوسعَهم علمًا"؛[6]

وذكَرَها – رضي الله عنها – الشيخُ أبو إسحاق الشِّيرازي في طبقاته في جملة فقهاءِ الصحابة، وقدَّمها ابنُ حزم على سائرِ الصحابة لَمَّا ذكَر أسماء الذين رُويتْ عنهم الفتاوى في الأحكام؛[7]

وقال الحاكم أبو عبدالله: "حُمِل عنها رُبُع الشريعة"؛ "الإجابة" للزركشي (ص: **59**).

ولقد كانتْ – رضي الله عنها – من أفصحِ النِّساء، وما رأى الناسُ أفصحَ منها، وما سَمِعوا أبلغَ منها، ليس رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم.

وعن أبي الزناد، قال: ما رأيتُ أحدًا أرْوَى لشِعر مِن عُروة، فقيل له: "ما أرواك!"، فقال: ما رِوايتي في رواية عائشة؟! ما كان ينزل بها شيءٌ إلا أنشدَتْ فيه شِعرًا؛ [8]

وذكر الذهبي في السير" (**197/2**) عنِ الشَّعْبي: أنَّ عائشةَ – رضي الله عنها – قالت: رَوَيْتُ لِلَبِيدٍ نحوًا من ألْف بيت، وكان الشعبيُّ يذكُرها، فيتعجَّب من فقهها وعِلمها، ثم يقول: ما ظنُّكم بأدبِ النبوُّة؟! "

---

[4] – الإجابة" للزركشي (ص: **58**).

5 – السير للذهبي **185/2**

6 – رواه الحاكم في المستدرك (**11/4**).

7 – "عودة الحجاب" للمقدّم (**574/2**).

8– الإصابة لابن حجر (**18/8**)

وذَكَر الحافظُ أبو عمر بن عبدالبر – رحمه الله –: "أنَّها كانتْ وحيدةَ عصرها في ثلاثة علوم: عِلم الفقه، وعِلم الطب، وعِلم الشِّعر"؛ [9]

وروى الحاكمُ في المستدرك (11/4) بسنده عن ابن سيرين عن الأحنف، قال: "سمعتُ خُطبةَ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء بعدَهم، فما سمعتُ الكلام من فمِ مخلوقٍ أفخمَ ولا أحسن منه مِن فِي عائشةَ".

وقد يتعجَّب بعضُ الناس، ويظنُّ أنَّ عائشة – رضي الله عنها – لا تعرِف إلا عِلمَ الشريعة فقط، هيهات هيهات! بل حتى عِلم الطب عَلِمتْ به، ولكن العجب يَنتهي عندما يقرأ مثلَ هذا الخبر: روى أحمد في "المسند" وغيرُه عن هشامِ بن عروة، قال: كان أبي يقول لعائشة – رضي الله عنها –: يا أُمَّتاه، لا أعجبُ من فِقهك؛ أقول: زوجةُ نبي الله، وابنة أبي بكر، وكان أعْلمَ الناس، ولكن أعجبُ مِن عِلمك بالطب: كيف هو؟! ومِن أين هو؟! – أو ما هو؟ – قال: فضربتْ على مَنكِبه، وقالت: أيْ عُرَيَّةُ، إنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – كان يَسْقَم عندَ آخِرِ عمره – أو في آخِرِ عمره – وكانتْ تَقْدَم عليه وفودُ العرب من كلِّ وجه، فتنعت له الأنعات، وكُنتُ أُعالِجها له؛ فمِنْ ثَمَّ".

وأمَّا رجوع الناس إلى العمل بقولها، فانظرْ إلى ما رواه الإمام أحمدُ في مسنده من طريق منصور، عن مجاهد، عن أبي بكر بن عبدالرحمن، قال: قال أبو هريرة: مَن أصْبح جُنبًا فلا صومَ له، فأرسل مرْوان أبا بكر بن عبدالرحمن إلى عائشةَ يسألها، فقال لها: إنَّ أبا هريرة يقول: مَن أصبح جُنبًا فلا صومَ له؟ فقالت عائشة: قد كان رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يُجنِب، ثم يتمُّ صومَه، فأرسل إلى أبي هريرة، فأخبَرَه أنَّ عائشة قالت: "إنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – كان يُجنِب ثم يُتمُّ صومَه"، فكفَّ أبو هريرة.

---

9 – الاستيعاب" (1881/4).

فانظر إلى حافظِ الصحابة أبي هريرة؛ إلى كفِّه عن الحديث، وهو الذي ما امْتَنع عن حديثِ الناس، ولكن لَمَّا أخبرتْه عائشة توقَّف! وفي بعضِ الروايات قال: هي أعلمُ منِّي برسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم.

المبحث الثاني : عائشة العابدة

وأما عبادتها لربها: فكما يقول القاسِم بن محمَّد عنها: "كانتْ عائشةُ تصوم الدهر"؛ أخرجه ابن سعد في "الطبقات"، والمعنى: أنها كانت تصوم غيرَ الأيام المنهي عنها كالعيدين، وأيام التشريق، والحَيْض.

وفي "السمط الثمين" لمحبِّ الدين الطبري عن عُروةَ بنِ الزبير قال: "كنتُ إذا غدوتُ أبدأ ببيت عائشة – رضي الله عنها – فأُسلِّم عليها، فغدوتُ يومًا، فإذا هي قائمةٌ تسبِّح، وتقرأ: ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ [الطور: 27]، وتدْعو، وتبكي، وتُردِّدها، فقمتُ حتى مللتُ القيام، فذهبتُ إلى السوق لحاجتي، ثم رجعتُ، فإذا هي قائمةٌ كما هي تُصلِّي وتبكي.

لله درها تسرد الصوم ولا تبالي تعبًا ولا مشقةً محتسبة الأجر فيه لربها سبحانه وتعالى والأجر على قدر المشقة.

المبحث الثالث : عائشة المتصدقة

كرمُها وجُودُها حدث عنه ما شئت فكانت لا تمسك شيئًا لغد، وكانتْ خير زوجة كريمة اليد: كريمة النَّفْس، صبرَتْ مع الرسول – صلَّى الله عليه وسلَّم – على الفقرِ والجوع، حتى كانتْ تمرُّ عليها الأيَّام الطويلة، وما يُوقَد في بيت رسولِ الله نارٌ لخبز أو طبيخ، وإنَّما كانَا يعيشانِ على التمر والماء.

رضي الله عنها، لم يُزعجْها الفقر، ولم يُبطِرها الغِنَى، صانتْ عِزَّة نفسها، فهانَتْ عليها الدنيا، فما عادتْ تُبالي بإقبالها ولا إدْبارها.

عن عبدالله بن الزُّبَير – رضي الله عنهما – قال: "ما رأيتُ امراتَيْن قطُّ أجودَ من عائشة وأسماء، وجُودهما مختلف: أمَّا عائشة فكانتْ تَجْمَع الشيء حتى إذا اجتمع عِندَها قسمتْ، وأمَّا أسماء فكانتْ لا تُمسِك شيئًا لغدٍ"؛ [10]

وعن عُروةَ بن الزُّبير، قال: "كانت عائشةُ – رضي الله عنها – لا تُمسِك شيئًا ممَّا جاءَها من رِزق الله – تعالى – إلاَّ تصدَّقتْ به"؛ [11]

وقد أرسل معاوية رضي الله عنها لها مالاً بمقدار أربعين ألفًا، فما أمسى في بيتها منه شيء، فقالت له جاريتها :لو أبقيت منه درهمين فقالت عائشة: لو ذكرتيني لفعلت.

هذا جُودها وكَرَمها، وبذلها وتصدُّقها، وإنفاقها المال؛ ابتغاءَ مرضاةِ الله.

المبحث الرابع : عائشة المجاهدة

وأمَّا جهادُها، فقد كانتْ تشارك فيه كأيِّ امرأةٍ دون تمييز، وذلك ضمنَ الحدود التي وضَعَها الشرع؛ مِن سقاية الماء، ومداواة الجرْحى، وإعداد الطعام، ولا يَخْفَى علينا دورُها وهي بنت صغيرة في حادثِ الهجرة، حتى إنَّ أبا بكر جَنَّد أهلَ بيته لخدمة دِين الله.

وفي غزوة أُحُد كانت عائشةُ – رضي الله عنها – تشارك في حمْل الماء على عاتِقِها لسقاية المجاهدين، وكانتْ ما تزال صغيرةَ السِّنِّ، ولكنَّها شاركتْ للمرة الأولى في هذه الغزوة.

---

10 – أحكام النساء" لابن الجوزي (ص: **125**).

11– السمط الثمين" للطبري (ص: **88**).

رَوَى الشيخانِ عن أنس: "ولقدْ رأيتُ عائشة بنت أبي بكر، وأمَّ سليم، وإنَّهما لمشمرتان، أرَى خَدَم – خلخال – سُوقِهما، تنقلان القِرَب على متونِهما، ثم تُفرغانِه في أفواههم، ثم تَرجعانِ فتملآنها، ثم تَجيئان تُفرغانه في أفواه القَوْم.

وفي غزوة الخَنْدق، كان لها شَجاعةٌ نادرة، وجُرأة مشهورة، حتى إنَّ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنكر جُرْأتَها لَمَّا رآها تقترب من الصفوف الأُولى للمجاهدين!

روى الإمامُ أحمد في مسنده عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: "خرجتُ يومَ الخندق أقْفو الناسَ، فسمعتُ وئيدَ الأرض ورائي، فإذا أنا بسعدِ بن معاذ، ومعه ابنُ أخيه الحارث بن أوْس، يَحْمل مِجَنَّه، قالت: فجلستُ إلى الأرض، فمرَّ سعد وعليه دِرْع من حديد قد خرجتْ منها أطرافُه، فأنا أتخوَّف على أطرافِ سعْد، قالت: وكان سعدٌ من أعظمِ الناس وأطولهم، فمرَّ وهو يَرْتَجِز، ويقول:

لَبِثَ قَلِيلاً يُدْرِكُ الهَيْجَا جَمَلْ مَا أَحْسَنَ المَوْتَ إِذَا حانَ الأَجَلْ

قالت: فقمتُ فاقتحمت حديقةً، فإذا نفرٌ من المسلمين، فإذا فيها عمرُ بن الخطَّاب، وفيهم رجلٌ عليه سبغةٌ له – تعني: المِغفر – فقال عمر: ما جاء بكِ؟! والله إنَّك لجريئة، وما يُؤمِّنك أن يكون بلاءٌ أو يكون تحوُّز، فما زال يلومني حتى تمنيتُ أنَّ الأرض فُتِحت ساعتئذٍ فدخلتُ فيها، فرَفَع الرجلُ السبغةَ عن وجهه، فإذا هو طلحةُ بن عُبَيدالله، فقال: يا عمرُ، ويحَك! إنَّك قد أكثرتَ منذ اليوم، وأين التحوُّزُ أو الفرار إلاَّ إلى الله – عزَّ وجلَّ"؛ ا.هـ.

الفصل الثاني : عائشة وأثرها في حياة تلامذتها:

فإنَّ السيِّدةَ عائشة – رضي الله عنها – حَفِظتْ لنا أحاديثَ كثيرة، وروتْ علمًا كثيرًا طيبًا، مباركًا فيه عن رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – حتى غدَتْ مربيَّة، ومعلِّمة، ومحدِّثة، ومفسِّرة، وفقيهة.

ولا يشكُّ عاقلٌ أنَّ المرء إذا بارك الله له في عِلْمه، يُوفَّق لتلاميذ بَرَرة، ينشرون علمَه في المشرِق والمغرِب، حتى يكونَ مِلءَ السمع والبصر في الدنيا بأَسْرها ، فيستفيد القاصي والداني بما كتَب وسطَّر، وشرَح ووضَّح، وذلك يرجع إلى التلاميذ الأوفياء، الذين اعتنوا بذلك، وجعلوه محورَ ارتكازهم، وجُلَّ اهتمامهم، متأثِّرين مع ذلك بلَفْظ العالِم ولَحْظه.

والحُرُّ هو مَن يرْعى وداد لحظه، وإفادَة لفظه – كما قال الشافعي رحمه الله.

وما جَعَل مالكًا يفوق اللَّيْثَ بن سعد، إلاَّ لأنَّ أصحابَه قاموا بعِلْمه ونشروه، وإلاَّ فقدْ قال الشافعي – وهو مَن هو علو كعبًا في العِلم وتلميذ مالك – إنَّ الليث أفقهُ من مالك، ولكن أصحابه لم يقوموا به ؛ يعني: لم ينشروا علمَه، ولم يجوبوا البلادَ في نشْر مذهبه، كما كان حال مالك – رضي الله عن الجميع.

والسيِّدةُ عائشة – رضي الله عنها – حدَّث عنها أناسٌ كثيرون، وضمَّتْ مدرستها عددًا كبيرًا من التلاميذ، وتخرَّج على يديها سادةُ العلماء مِن التابعين.

والمرْء يَصعُبُ عليه حصْرُ هؤلاء الأفاضل مِن التابعين الذين حَمَلوا العلم عنها، ولكن حسبَ القلادةَ ما أحاط بالعُنق، ومِن السوار ما أحاط بالمِعْصم، أنْ نقِفَ مع أشهر التلاميذ الذين حَمَلوا العلم عنها، ونشَروه في الآفاق، وصاروا أئمَّةً يُقتدَى بهم في العِلم والعمل.

المبحث الأول :عائشة وأثرها في حياة عروة بن الزبير:

الإمامُ الكبير، القُدوة، عالِم المدينة، وأحَدُ فقهائها السَّبعة ، أبو عبدالله، القُرَشي الأسدي المدني، أبوه الزُّبَير بن العوَّام، حواري النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وأُمُّه أسماء بنت أبي بكر – ذات النطاقين.

وُلِد في خِلافة عمر سَنَة ثلاث وعشرين للهِجرة، تفقَّه بالسيِّدة عائشة ، وكان يدخل عليها كثيرًا.

أثْنَى عليه أهلُ العلم ثناءً عطرًا:

قال عمرُ بن عبدالعزيز: ما أجِدُ أعلمَ من عروة بن الزُّبَير، وما أعْلَمه يعلم شيئًا أجهله.

حدَّث الأصمعي عن مالك، عن الزهري، قال: سألتُ ابن صُعَير عن شيء من الفِقه، فقال: عليك بهذا، وأشار إلى ابنِ المسيَّب، فجالستُه سبع سنين لا أرى أنَّ عالِمًا غيره، ثم تحوَّلتُ إلى عروة، ففجَّرْتُ به ثَبَجَ بَحْر.

وقال ابنُ شهاب: «كان إذا حدَّثَني عُروةُ، ثم حدَّثْني عمرة، صدَّق عندي حديث عمرة حديث عروة، فلمَّا بحرتهما إذا عروة بحْر لا يترف»[12] .

وقال سفيانُ بنُ عيينة، عن الزهري: «كان عروة يتألَّف الناس على حديثه»[13].

وأنت لو قلَّبْتَ أيَّ ديوان من دواوين السنَّة، لوجدتَ رواية عروة عن عائشة كثيرة جدًّا، وإن دلَّ على شيء، فإنَّما يدلُّ على كثرةِ ملازمته لها.

قال قبيصة بن ذؤيب: كان عروةُ يغلبنا بدخوله على عائشة، وكانتْ عائشةُ أعلمَ الناس، وكان عروةُ أعلمَ الناس بحديث عائشة؛ [14]"

---

12 – تهذيب التهذيب لابن حجر(164/7)

13 – السير" (425/4، 431)، "تهذيب التهذيب" (164/7).

حَمَل عِلم عائشة؛ ذكر أبو نعيم في "الحلية" (176/2)، والذهبي في "السير" (431/4): "أنَّه كان جالسًا في فناء الكعبة ومعه عبدالله بن عمر ، ومُصْعَب بن الزبير ، وعبدالله بن الزبير ، فقال لهم مُصْعَب : تَمنَّوا ، فقالوا: " ابدأ أنت "..... قال عروة: وأتمنَّى الفِقه، وأن يُحمَل عني الحديث، فنال ذلك.

وصار عروةُ مِن أثبت الناس في عائشة ، حتى قال: لقدْ رأيتُني قبل موْت عائشة بأربع حِجج، أو خَمْس حجج، وأنا أقول: "لو ماتتِ اليومَ ما ندمتُ على حديث عندَها إلا وقد وَعَيْتُه"؛ [15]"

ولم يقفْ تأثُّر عروة – رحمه الله – بالسيِّدة عائشة عندَ حدود العلم، فقد تعدَّى ذلك إلى التأثُّرِ بأخلاقها وشمائلها عامَّة، وعبادتها أيضًا.

فعن ضَمْرةَ بن ربيعة، عن ابن شوذب، قال: كان عروةُ بن الزبير يقرأ رُبُعَ القرآن كلَّ يوم نظرًا في المصحف، ويقوم به الليل، فما ترَكَه إلا ليلةَ قُطِعت رِجلُه، ثم عاود جروه من الليلة المُقْبِلة، وكان وقع في رجله الأَكَلة فنشَرها، وكان عروة إذا كان أيَّامُ الرطب ثَلَم حائطَه فيدخل الناس فيأكلون ويحملون، وكان إذا دخَله ردَّد هذه الآية: { وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} [الكهف: 39]، حتى يخرج؛

وذكر عليُّ بنُ المبارك الهنائي، عن هشام بن عُرْوة: أنَّ أباه كان يصوم الدهر كلَّه إلاَّ يوم الفطر ويوم النَّحْر، ومات وهو صائِم؛ [16]

تُوفِّي – رحمه الله ورضي عنه – سنة أربعٍ وتِسعين، ودُفِن يوم الجُمُعة.

---

14 – المرجع السابق

15 – سير أعلام النبلاء" (424/4).

16 – السير" (436/4).

من أقواله – رحمه الله –:

• إذا رأيتَ الرجل يعمل الحَسَنة، فاعلم أنَّ لها عندَه أخوات، وإذا رأيتَه يعمل السيئة، فاعلم أنَّ لها عندَه أخوات؛ فإنَّ الحسنة تدلُّ على أختها، وإنَّ السيئة تدلُّ على أختها؛ [17]

• ما حدثتَ أحدًا بشيءٍ من العِلم قطُّ لا يبلغه عقلُه، إلاَّ كان ضلالةً عليه؛ "[18]

• لتكن كلمتُك طيبة، وليكن وجهُك بسطًا، تكُنْ أحبَّ إلى الناس ممَّن يُعطيهم العطاء؛[19]

• إذا جعَل أحدُكم لله – عزَّ وجلَّ – شيئًا، فلا يجعلْ له ما يستحي أن يجعلَه لكريم، فإنَّ الله أكرمُ الكرماء، وأحقُّ مَن اختير له؛ "[20]

المبحث الثاني: عائشة وأثرها في القاسم بن محمد

هو الإمام القُدوة ، أبو عبدالرحمن ، التيمي المَدني ، الفقيه، قُتِل أبوه وهو صغير، فتربَّى يتيمًا في حجْر عمَّته عائشة – رضي الله عنها – فتفَقَّه بها.

قال عنه أبو نعيم في "الحلية" 21: "الفقيه الوَرِع، الشفيق الضَّرِع، نَجْل الصِّدِّيق، ذو الحَسَب العتيق، القاسِم بن محمد بن أبي بكرٍ الصِّدِّيق، كان لغوامضِ الأحكام فائقًا، وإلى محاسن الأخلاق سابقًا

---

[17] - تهذيب التهذيب" (**165/7**).

[18] - سير أعلام النبلاء" (**437/4**).

[19] -"الحلية" (**178/2**).

[20]- صفة الصفوة" (**294/1**).

قال ابن سعد في "الطبقات" (193/5): "كان رفيعًا عاليًا فقيهًا، كثيرَ الحديث وَرِعًا".

اهتمَّتْ به السيدةُ عائشة بعد مقْتل أبيه كثيرًا، وكان يَذكُر ذلك فيقول: "كانت عائشةُ تَحلِق رؤوسنا عشيةَ عرَفَة، ثم تحلقنا وتبْعَثُنا إلى المسجد، ثم تُضحِّي عندنا مِنَ الغد"؛[22].

وَرِثَ عن عمَّته ومُعلِّمته عائشة – رضي الله عنها – روايةَ السنَّة ، حتى قيل: "أعْلمُ الناس بحديثِ عائشةَ ثلاثة: (القاسم، وعروة، وعَمْرة بنت عبدالرحمن)؛ [23]

وأضاف إلى رِوايةِ السنَّة الفِقه ؛ قال أبو الزناد : "ما رأيتُ فقيهًا أعلم من القاسم، وما رأيتُ أحدًا أعلم بالسُّنَّة منه، وكان الرجل لا يُعدُّ رجلاً حتى يعرفَ السُّنَّة"؛ [24]

وفي روايةٍ أخرى: "وما رأيتُ أحدَّ ذِهنًا من القاسِم، إنْ كان ليضحَك مِن أصحاب الشُّبَه كما يضحَك الفتَى"؛ "السير" (56/5).

وكان عفيفًا ورعًا، كريمًا متواضعًا، ناسيًا حظَّ نفسه، وكان السَّلَف يتشبَّهون به في عبادته؛

قال ابنُ وهب: ذكَر مالكٌ القاسمَ بن محمد، فقال: كان مِن فقهاء هذه الأمَّة، ثم حدَّثني مالك أنَّ ابن سيرين كان قد ثَقُل وتخلَّف عن الحجِّ، فكان يأمُر مَن يحجُّ أن ينظر إلى هدي القاسم ولُبوسِه وناحيته، فيبلغونه ذلك، فيقتدي بالقاسم؛ [25]

---

[21] - حلية الأولياء (183/2)

22 – الطبقات لابن سعد (187/5).

23- تهذيب التهذيب لابن حجر (389/12).

24 – الحلية لأبي نعيم (183/2).

25 – السير للذهبي (57/5).

ومِن وَرعِه في العِلم ما ذكَرَه أيوب السِّختيانيُّ، قال: سمعتُ القاسم يُسأل بمِنًى، فيقول: لا أدْري، لا أعْلم، فلمَّا أكثروا عليه قال: والله لا نعلمُ كلَّ ما تسألونا عنه، ولو علمنا ما كتَمْناكم، ولا حلَّ لنا أن نكتمَكم؛ [26]

"وكان عمرُ بن عبدالعزيز متأثِّرًا به ، علمًا وزهدًا وورعًا وإخوةً في الله ، ويقول: لو كان لي مِن الأمر شيءٌ لاستخلفتُ أُعَيْمش بنى تيم؛ يعني: القاسم"، وروى الواقديُّ: أنَّها بلغتِ القاسم، فقال: إني لأضعُف عن أهلي، فكيف بأمْر الأمَّة؟! [27]

وبلغ مِن عدم تزكيته لنفسه أنَّ أعرابياً جاءه، فقال: أنت أعلمُ أمْ سالم؟ قال: ذاك منزلُ سالِم، فلم يزدْه عليها حتى قام الأعرابي.

قال: محمَّد بن إسحاق معلقًا: كَرِه أن يقول: هو أعلمُ مني فيكذب، أو يقول: أنا أعلم منه فيزكي نفْسَه.

قال الذهبي معلقًا: وكان القاسمُ أعلمَهما؛[28]

مات القاسِم ابن محمَّد بيْن مكة والمدينة حاجًّا أو معتمرًا، فقال لابنه: سُنَّ على التراب سنًّا، وسوِّ على قبري، والْحَقْ بأهلك، وإيَّاك أن تقول: كان وكان؛ "الحلية" (**182/2**).

وفي "السير"للذهبي (**60/5**): أنَّه مات بقديد ، وقال: كفِّنوني في ثيابي التي كنتُ أصلِّي فيها؛ قميصي ورِدائي؛ هكذا كُفِّن أبو بكر.

وكان موته سَنَةَ ثمانٍ ومائة.

---

26 – "صفة الصفوة" (**295/1**).

27 – تذكرة الحفاظ" (**75/1**)، "سير أعلام النبلاء" (**59/5**). كلاهما للذهبي

28 – سير أعلام النبلاء" (**56/5**).

من أقواله – رحمه الله –:

• لأنْ يعيشَ الرجلُ جاهلاً بعدَ أن يعرِفَ حقَّ الله عليه خيرٌ له من أن يقول ما لا يَعْلم؛ [29]

• كان إذا سُئِل عن حُكْم مسألة، قال: أرَى، ولا أقول: إنَّه الحق؛ [30]

• وقال لقومٍ يذكرون القَدَر: كفُّوا عمَّا كفَّ الله عنه؛ [31]

المبحث الثالث : عائشة وأثرها في حياة مسروق بن الأجدع

الإمام، القُدوة، العَلَم، أبو عائشة الوادعي، الهَمْداني، الكوفي مسروق بن الأجدع بن مالك بن أُميَّة بن عبدالله.

حديثُه في الكتب السِّتَّة، معدودٌ في كبار التابعين، وفي المخضْرمين الذين أسْلَموا في حياةِ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم.

سُمِّي مسروقًا؛ يقال: إنَّه سُرِق وهو صغير، ثم وُجِد فسُمِّي مسروقًا، وأسلم أبوه الأجدع؛ [32]

كَفلتْه عائشةُ – رضي الله عنها – فلازَمَها، وحَمَل عنها عِلمًا كثيرًا، وأحبَّها حبًّا عظيمًا ؛ إكرامًا لها، وتبجيلاً لقَدْرها.

روى سعيدُ بن عثمان التَّنُّوخيُّ الحِمصي: حدَّثَنا عليُّ بن الحسن السامي، حدَّثَنا الثوريُّ عن فطر بن خَليفة، عن الشَّعْبي، قال: غُشِي على مسروق في يوم صائِف، وكانتْ عائشة ـــ رضي الله

---

[29]-"السير" (57/5).

[30] -"الطبقات لابن سعد" (187/5).

[31] -"الطبقات لابن سعد" (118/5).

32 – تاريخ بغداد" (232/13).

عنه ــ قد كفلته، فسمَّى بِنْتَه عائشة، وكان لا يَعْصي ابنتَه شيئًا، قال: فنزلتْ إليه فقالت: يا أبتاه، أفْطِر واشربْ، قال: ما أردتِ بي يا بنية؟ قالت: الرِّفْق، قال: يا بنية، إنَّما طلبتُ الرفق لنفسي في يومٍ كان مقدارُه خمسين ألف سَنَة؛ [33]

وذكر الذهبي في السير: عن الشعبيُّ، عن مسروق، قالتْ عائشة: يا مسروقُ، إنَّك مِن ولدي، وإنَّك لَمِنْ أحبِّهم إلي، فهل لك علمٌ بالمخدج؛ "

أخَذ عنها علمًا وعبادةً، وتقوى وورعًا، وخوفًا من الله – عزَّ وجلَّ.

كان حريصًا على طلب العلم ، حتى قال فيه الشعبيُّ : "ما علمتُ أنَّ أحدًا كان أطلبَ للعِلم في أُفق من الآفاق مِن مسروق"؛ [34]".

وقال أيضًا: كان مسروقٌ أعلمَ بالفتوى مِن شُرَيح، وكان شُريحٌ أعلمَ بالقضاء من مسروق، وكان شريح يستشير مسروقًا، وكان مسروقٌ لا يستشير شريحًا؛ [35]

قال أنس بن سِيرين، عن امرأةِ مسروق: كان مسروقٌ يُصلِّي حتى تَورَّمتْ قدماه، فربَّما جلستُ خَلْفَه أبْكي مِمَّا أراه يصْنع بنفسه؛ [36]

عن إسماعيلَ بن أمية قال: قيل لمسروق: لو أنَّك قصرتَ عن بعض ما تصنع ؛ أي: مِن العبادة؟ فقال: والله لو أتاني آتٍ فأخبرني أنَّ الله لا يُعذِّبني لاجتهدتُ في العبادة ، قيل: وكيف ذلك؟! قال: حتى تَعذِرني نفسي إنْ دخلتُ جهنمَ لا ألومها، أمَا بلَغَك في قوله – عزَّ وجلَّ – : {وَلاَ

---

33 – السير" (4/67، 68).

34 – السير" (4/65)

35 – تاريخ بغداد" (13/233).

36– صفة الصفوة" (2/508).

أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} [القيامة: 2]، إنَّما لاموا أنفسَهم حين صاروا إلى جهنم ، واعْتقبتْهم الزبانية، وحِيل بيْنهم وبيْن ما يَشْتَهون، وانقطعتْ عنهم الأمانيُّ، ورُفِعتْ عنهم الرحمة، وأقبل كلُّ امرئ منهم يلوم نفسَه؛ [37]

وكان يحزن على تفريطِه في السُّجود في حقِّ مولاه:

قال سعيدُ بن جُبَير: قال لي مسروق: ما بَقِي شيءٌ يُرغَب فيه إلا أن نُعفِّر وجوهنا في التراب، وما آسَى على شيءٍ إلا السُّجود لله تعالى؛ "[38]

عن إبراهيم قال: كان مسروقٌ يُرْخِي السِّتر بيْنه وبيْن أهله، ثم يُقبِل على صلاته، ويُخلِّيهم ودُنياهم؛ [39]

وقال شُعْبةُ عن أبي إسحاق: حجَّ مسروقٌ، فلم ينمْ إلا ساجدًا على وجهه حتى رَجَع؛[40]

وكان يحبُّ الجهادَ في سبيل الله، ويؤثره على ما يحب:

قال أبو إسحاق السَّبِيعي: زوَّج مسروقٌ بنته بالسائب بن الأقرع على عشرة آلاف لنَفْسه يجعلها في المجاهِدين والمساكين؛ [41]

---

37 – صفة الصفوة" (508/2).

38 – السير" (66/4).

[39] -"صفة الصفوة" (508/2).

[40] -"السير" (65/4).

[41] -"السير" (66/4).

مات – رحمه الله – سَنَة ثلاث وستِّين.

ومن أقواله – رحمه الله –:

• كفَى بالمرء علمًا أن يخشى الله – تعالى – وكَفَى بالمرء جهلاً أن يُعجَب بعمله؛ [42]

• إنَّ المرء لحقيقٌ أن يكونَ له مَجالسُ يخلو فيها، يَتذكَّرُ ذنوبَه ويستغفر منها؛ [43]

• بحسبِ المؤمن من الجهل أن يُعجَب بعمله، وبحسب المؤمِن من العلم أن يَخْشَى الله؛ [44]

مات – رحمه الله – سَنَة ثلاث وستِّين.

المبحث الرابع : عائشة وأثرها في حياة عمرة بنت عبدالرحمن

عَمْرة بنت عبدالرحمن بن سعْد بن زرارة بن عدس، الأنصاريَّة النجاريَّة المدنيَّة، الفقيهة، تَربية عائشة وتلميذتها، قيل: لأبيها صُحْبة، وجدُّها سعدٌ من قدماء الصحابة، وهو أخو النقيب الكبير أسْعَد بن زُرارة.

ضمَّتْها عائشة – رضي الله عنها – مع إخوتها وأخواتها إلى حجْرِها بعدَ وفاة والدهم، وبعدَ وفاة رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فنشأتْ في بيْتِ التقوى والعِلم، والدِّيانة والوَرَع، وكانتْ

---

[42] -"السير" (68/4).

[43] -"صفة الصفوة" (509/2).

[44] -"صفة الصفوة" (509/2).

ذَكيةَ الفؤاد، لَّاحة، وقَّادَة الذِّهن ، فوعَتْ عن عائشةَ كثيرًا من العِلم ، وكانتْ عالِمَةً فقيهة، حُجَّة، كثيرة العلم، وحدَّثتْ بحديثها مِن بَعْدها، و كانتْ مِن أعلم الناس بحديثِ عائشة، وحديثها في الكتب الستَّة.

تزوَّجت عبدالرحمن بن حارثة بن النعمان ، فولدتْ له محمَّدًا وهو أبو الرِّجال – وهو لَقب كان له؛ [45]

روى أيوبُ بن سُوَيد، عن يونس، عن ابن شِهاب، عن القاسِم بن مُحمَّد: أنَّه قال لي: يا غلامُ، أراكَ تحرِص على طلب العلم، أفلاَ أدلُّك على وعائه؟ قلتُ: بلى، قال: عليك بعَمْرة؛ فإنَّها كانتْ في حجْرِ عائشة، قال: فأتيتُها فوجدتُها بحرًا لا يترف؛ [46]

وقال محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر المُقدَّمِي، عن أبيه: سمعتُ عليَّ ابنَ المديني، وذكَر عَمْرَةَ بنت عبدالرحمن، ففخَّم من أمرها، وقال: عمرةُ أحدُ الثِّقات العلماء بعائشةَ، الأثبات فيها؛[47]

وقال شُعْبةُ عن محمَّد بن عبدالرحمن: قال لي عمرُ بنُ عبدالعزيز: ما بَقِي أحدٌ أعلم بحديث عائشة مِن عَمْرة؛ [48]

وأخْرَج ابنُ سعد في طبقاته (**480/8**) عن عبدالله بن دينار قال: كتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكْر بن محمَّد بن حزم: أنِ انظرْ ما كان من حديثِ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أو سُنَّة ماضية، أو حديث عمْرة، فاكْتُبْه، فإنِّي خشيتُ دروسَ العلم، وذَهابَ أهله.

تُوفِّيت سَنَة ثمان وتسعين، وهي بنتُ سبع وسبعين سَنَة.

---

45 – الطبقات" (**480/8**).

46 – السير" (**508/4**).

47 –"تهذيب التهذيب" (**389/12**)

48 – تهذيب التهذيب" (**389/12**).

المبحث الخامس : عائشة وأثرها في حياة معاذة العدوية:

مُعاذَة بنت عبدالله العدوية، أم الصَّهْباء البصريَّة، امرأة صِلة بن أَشْيَم، وكانتْ مِن العابدات، وكان زوجُها من خيار التابعين، ديانةً وتقوى وورعًا، مات شهيدًا في كابول، في بعضِ المعارك في أوَّل إمْرة الحَجَّاج بن يوسف الثقفي على العِراق.

"لَمَّا استُشْهِد زوجُها صِلة وابنها في بعض الحروب، اجتمع النِّساء عندَها، فقالت: مرحبًا بكن، إن كنتُنَّ جئتنَّ للهناء، وإن كنتنَّ جئتنَّ لغير ذلك فارجعْنَ، وكانت تقول: والله ما أُحِبُّ البقاءَ إلا لأتقرَّب إلى ربي بالوسائل، لعلَّه يجمع بيْني وبيْن أبي الشعثاء وابنه في الجنة"؛[49]

لقدْ وَرِثتْ عن عائشة – رضي الله عنها – كثرةَ العِلْم والعبادة، والتقْوى والزُّهْد، وقدِ اشتهرتْ بذلك، وحديثُها في الكُتُب السِّتَّة.

وقال محمَّد بن الحُسَين البرجلاني، عن محمَّد بن سنان الباهلي: حدَّثَني سلمةُ بن حبان العدويُّ، قال: حدَّثَنا الحي أنَّ معاذةَ العدويَّة لم توسدْ فراشًا بعدَ أبي الصَّهْباء حتى ماتتْ. [50]

ذكَر ابنُ الجوزيِّ في "صفة الصفوة" (**22/4**): "كانتْ معاذة العدويَّة إذا جاء النهارُ قالت: هذا يومي الذي أموتُ فيه، فما تنام حتى تُمْسي، وإذا جاء الليلُ قالت: هذه ليلتي التي أموتُ فيها، فلا تنام حتى تُصْبح، وإذا جاء البَرْدُ لَبِسَتْ الثياب الرِّقاق حتى يمنعَها البردُ مِن النوم".

---

49 – "السير" (**509/4**)، "الطبقات" (**137/7**).

50 –"تهذيب الكمال" (**309/35**).

كانتْ معاذةُ العدوية تُصلِّي في كلِّ يوم وليلة سِتَّمائة رَكْعة، وتقرأ جُزءَها من الليل تقوم به، وكانتْ تقول: عجبتُ لعين تنام وقد عَرَفتْ طول الرُّقاد في ظُلُم القبور! [51]

ومِن كرامتها علي ربِّها – عزَّ وجلَّ – ما ذكَرَه الحافظ ابن حجر قال:

رُوِّينا في فوائدِ عبدالعزيز المشرقي بسندٍ له عن أبي بِشْر – شيْخ من أهل البصرة – قال: أتيتُ معاذة، فقالت: إني اشتكيتُ بطْني، فوُصِف لي نبيذ الجر، فأتيتها منه بقَدَح، فوضعتُه، فقالت: اللهمَّ إن كنتَ تعلم أنَّ عائشة حدَّثتني أنَّ النبي – صلَّى الله عليه وآله وسلَّم – نهى عن نبيذ الجر، فاكْفِنيه بما شِئت، قال: فانكفأ القَدَح، وأُهريق ما فيه، وأذْهَب الله تعالى ما كان بها؛[52]

"لَمَّا احتضرَها الموت بكَتْ ثم ضَحِكت، فقيل لها: ممَّ بكيتِ، ثم ضحكت، فمِمَّ البكاء وممَّ الضحك؟! قالت: أمَّا البكاء الذي رأيتم، فإني ذكرتُ مفارقة الصيام والصلاة والذِّكْر، فكان البكاء لذلك، وأمَّا الذي رأيتُم من تبسُّمي وضَحِكي، فإني نظرتُ إلى أبي الصهباء قد أقْبَل في صحْن الدار وعليه حُلَّتان خَضراوان، وهو في نفَر واللهِ ما رأيتُ لهم في الدنيا شبهًا، فضحكتُ إليه، ولا أراني أُدْرِك بعدَ ذلك فرْضًا"؛ [53]

قال الرَّاوي: فماتتْ قبل أن يدخُلَ وقتُ الصلاة.

ماتت في سَنَة ثلاث وثمانين.

ومن أقوالها – رحمها الله –:

---

51 –"صفة الصفوة" (**22/4**).

52 – "تهذيب التهذيب" (**12 / 401**).

53 – "صفة الصفوة" (**22/4**).

ما ذَكَره ابنُ الجوزيِّ عن زُهَير السلولي، عن رجلٍ مِن بني عديٍّ عنِ امرأة منهم أرضعتْها معاذةُ ابنة عبدالله، قالت: قالت لي مُعاذة: يا بنيَّة، كُوني مِن لِقاء الله – عزَّ وجلَّ – على حذَر ورَجاء، وإنِّي رأيت الراجي له مَحقوقًا بحُسْن الزُّلْفَى لديه يومَ يَلْقاه، ورأيت الخائف له مؤمِّلاً للأمان يومَ يقوم الناسُ لربِّ العالمين، ثم بَكَتْ حتى غلبَها البكاءُ؛ "[54]

الفصل الثالث : مواقف ذات عبر من حياة عائشة

فإنَّ في التاريخ عِبَرًا، وفي الكون مَشاهد لآثارِ مَن سَبَق، والمتأمِّل لواقع الناسِ اليومَ يَجد البَوْن شاسِعًا بيْن هذا الجيل وبيْن الجِيل الذي تربَّى في مدرسة النبوَّة، وإنَّك تُوتِّر بفِعْلك أبلغُ ممَّا تؤثِّر بقولك، وقديمًا كانوا يقولون: فِعْلُ رجلٍ في ألْف رجل، خيرٌ مِن قول ألْف رجل لرجل، والحياةُ التي نَعيشها تُعلِّمنا الكثير، والمرأةُ لا تختلِف عنِ الرَّجُل في تحمُّل المسؤولية؛ فهي الأم، والزوجة، والبنت، وكثيرٌ مِن النساء مَحَاضِن خالدة لتربية الأجيال، تَصلُح نبراسًا وأُنموذجًا لفتياتِنا وأمَّهاتنا وأَخواتنا، في وقتٍ أصبحتْ مُصمِّمة الأزياء، والممثِّلة هي القُدوةَ، وهي الأُسوة، إلا عندَ مَن رَحِمهنَّ الله سبحانه، والنِّساءُ الصالحات في الأُمَّة كثير، وفي المقدِّمة أزواجُ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وعلى رأسهنَّ أُمُّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها – مَن نَزَل الوحيُ في لحافها، والأمْر الإلهي لرسولِه في زواجِه منها، الصَّوَّامة، القوَّامة، مَن حَوَتْ عِلم الشريعة، حتى صارتَ مربيةَ الأجيال، ومُعلِّمة الرِّجال.

وإنَّ في ذِكْر نُبذٍ من مواقفها ما يُعين على التهذيب، ويَبْعَث على القُدوة، ويَنفُخ رُوحَ الحياة، وما حَيِيَ خَلَفٌ إلاَّ بحياة سَلَف، وما حياةُ السَّلَف إلا بحياة تاريخِهم ودوامِ ذِكْرهم، لماذا؟ لأنَّ هؤلاء الأخيارَ ذِكْر مواقفهم دواءٌ للقلوب، وجلاءٌ للألباب مِن الدَّنَس والعيوب، وقُدوةٌ في زمن كادتِ القدواتُ أن تَغيب، فمِنهم مِثالٌ يُحتذَى، ونِبراسٌ يُقتدَى؛ ليَعرفَ المتأخِّرُ للمتقدم فضْلَه، ويسعَى على دَرْبِه ونَهْجِه.

---

[54] - صفة الصفوة" (22/4).

بالوقوفِ على أخبارِها، وبعض مواقفها تحيا القلوب، وباقتفاء آثارها تحصُل السَّعادة، حتى تكونَ القُدوة بجميل الخِصال، ونبيل المآثر والفعال.

وهأنذا أعْتَرِف بالعَجْز والتقصير في حقِّ أمِّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها -لأنِّي لا أستطيع أن أوفيَها حقَّها في هذه الكلمات، فأَحطو بقَدمي خُطوة لأدخلَ هذا البستان الذي غُرِستْ فيه أبهَى وأعظم زَهْرة في الكون كلِّه، فلقَدْ غُرِست في بستان الإيمان، وسُقِيت بماء الوحي، ففاح عبيرُها وعِطرها، فملأ ما بيْن المشرق والمغرب.

وإليك أخي القارئ، مواقفَ مِن بيت النبوة، تُنبئك عن صِدْق قولي لأمِّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – مع رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم

المبحث الأول : أشركاني في سلمكا كما أشركتماني في حربكما

رَوى الإمام أحمدُ في مسنده، وأبو داود في سُننه عنِ النُّعْمان بن بشير، قال :جاء أبو بكر يستأذن على النبيَّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فسَمِع عائشةَ -رضي الله عنها – وهي رافعةٌ صوتَها على رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأذِن له، فدخل فقال: يا ابنةَ أمِّ رُومان – وتناولها - أتَرْفعين صوتَكِ على رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم -؟! قال: فحالَ النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – بينه وبينها، قال: فلَمَّا خرَج أبو بكر جعَل النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول لها يتَرَضَّاها)) :ألاَ تَرَين أني قد حُلْتُ بيْن الرجل وبيْنَك))، قال: ثم جاء أبو بكر فاستأذن عليه، فوجَدَه يضاحكها، قال: فأذن له فدخَل، فقال له أبو بكر: يا رسولَ الله، أشْرِكاني في سِلْمِكما كما أشْرَكتُماني في حَرْبِكما.

فانظرْ إلى النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – القُدوة؛ كيف أنَّه يُحادِث عائشة – رضي الله عنها – وهي ترْفَع صوتها عليه، ومع ذلك لم يُغضِبْه ذلك و لم يتبرَّم، فالعاقل مَن يستطيع أن يُوازنَ بيْن

أموره، ومَن كَرِه خُلقًا رَضِي آخَر، وخطأ اليوم يُصلح في غدٍ، ثُمَّ انظر إلى الصِّدِّيق لم يعجبْه أن ترفع ابنتُه صوتها على رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم -فهَمَّ أن يضربَها، فحال النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – بينه وبين عائشة – رضي الله عنها – ثمَّ جعَل يترضَّاها فرَضِيت، هل يضرُّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – أن ترضَى أو تغضَب عائشة؟! كلاَّ والله، بل إنَّ رِضاه هو – عليه الصلاة والسلام – هو المعتبَر، ولكن هذا درسٌ لنا معاشرَ الأزواج؛ حتى نتفَّهمَ طبيعةَ المرأة.

المبحث الثاني : الغيرة في حياة عائشة

رَوَى البخاريُّ عن أنس قال: كان النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – عندَ بعض نسائه، فأرسَلتْ إحْدى أمَّهات المؤمنين بصَحْفَة فيها طعامٌ، فضربتِ التي النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – في بيتها يدَ الخادم، فسقطَتِ الصَّحْفة، فانفلقتْ، فجمَع النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – فَلقَ الصَّحْفة، ثم جعَل يجمع فيها الطعامَ الذي كان في الصحفة، ويقول)) :غارَتْ أمُّكم))، ثم حبَس الخادم حتى أُتِي بصَحْفة مِن عند التي هو في بيْتها، فدَفَع الصَّحْفة الصحيحةَ إلى التي كُسِرتْ صَحفتُها، وأمْسَك المكسورَة في بيْت التي كَسَرَت.

وأَرْدَأُ الرجال هو الرجلُ الذي لا تَشعُر المرأةُ بالأُنس معه، وقدْ كان الرسولُ - عليه الصلاة والسلام – يجْلِسُ لأزواجه، ويَستمِع شكايتهنَّ، ويحلُّ المواقِفَ العصيبة جدًّا بكلِّ راحة واطمئنان، ولو تعلمْنا مِنَ النبي - عليه الصلاة والسلام – صِفةَ الزَّوْج الصالِح لانتهتْ مشاكلُ البيوت، فانظرْ إليه – عليه الصلاة والسلام – كيف انتهتِ المشكلة، غيَّر طعامًا بطعام، ثم تَبسَّم وانتهى الأمر!

وهكَذا إذا عَزَّ أخوك فَهُن، فإذا كانتِ المرأة متعصِّبة ومُتصلِّبة فهُن، ولا يأخذ الرجل العِنادُ والأَنَفة، ويُبادر بالطلاق، فيُصرِّح به في وقت، ويكني في وقتٍ آخَر، كما لو كان الطلاقُ سيُسْحَب منه، فيُريد أن يستخدمَه قبل أن يُسحَب منه.

المبحث الثالث : حفظ اللسان ومحاكاة فعل الآخرين

روَى أبو داود والترمذيُّ في سُننهما عن عائشةَ – رضي الله عنها – قالت: قلت للنبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم –: حسْبُك من صفيَّة كذا وكذا، قال - :تعني قصيرة – فقال: ((لقدْ قُلتِ كلمة لو مُزِجتْ بماءِ البَحْر لمزجَتْه))، قالت: وحكيتُ له إنسانًا، فقال: ((ما أُحِبُّ أنِّي حكيتُ إنسانًا وأنَّ لي كذا وكذا.))

والمعنى – كما يقول شُرَّاح الحديث – أنَّ هذه الغِيبة لو كانتْ ممَّا يُمزَج بالبحر لغيَّرتْه عن حاله، مع كثرتِه وغزارتِه، فكيف بأعمالٍ نَزْرة خُلِطت بها؟!

تأمَّل معي هذا الموقِفَ تَرَ عجبًا، عائشةُ أحبُّ النِّساء إليه، وابنةُ أحبِّ الناس إليه، ومع ذلك لم يمنعْه – عليه الصلاة والسلام – حبُّه لعائشةَ أن يكفَّها عن قَوْلها، ويُنذِرَها مَغبَّة فِعلها.

حديثٌ مِن أبلغ الزَّواجر عنِ الغِيبة، إذا كان هذا شأنَ كلمةٍ هي في المقول فيها، فإنَّ عائشة – رضي الله عنها – قالت عنها: إنَّها قصيرة، وكانتْ قصيرة، فكيف حالُ مَن يتكلَّم في غيرِه بكلمة مفتراة عليه، إنَّا لله وإنا إليه راجعون، مِن كلمة تُوقِع الإنسان في الهلاك.

الحروفُ المكونةُ من كلماتِ لو قُدِّر كونُ بعضِهاَ سائلاً ثم مُزج بماءِ البحر لأفسده وغيَّره، بحروفٍ ملفوظةٍ أو مكتوبةٍ يَهوي المرءُ أو يرفع، ويُرضى عنه أو يُسخط عليه، وإن الإنسانَ يهون عليه التحفظُ والاحترازُ من أكلِ الحرامِ والظلمِ والربا والسرقةٍ وشربِ الخمور والنظرِ المحرمِ وغير ذلك، ومع ذلك يصعبُ عليه التحفظُ من حركةِ لسانه، حتى إنك لترى الرجلَ يشارُ إليه بالدينِ والزهدِ والعبادةِ، وهو يتكلمُ الكلمةَ من سخط الله لا يُلقِي لها بالاً يزل بها أبعد مما بين المشرق والمغرب

إخوتاه، الوقيعةُ في الأعراض بِضاعَة الجبناء، وكفُّ اللِّسان عن المسلمين سِمةُ العلماء، وكلٌّ إلى جِنْسه يَحِنّ.

قال ابن القيِّم – رحمه الله –: أهلُ الصِّراط المستقيم كفُّوا ألسنتهم عنِ الباطل، وأطْلقُوها فيما يعود عليهم بالنَّفْعِ في الآخِرة، فلا ترَى أحدهم يتكلَّم بكَلِمة تذهب عليه ضائِعةً بلا منفعة، فضلاً عن أن تضرَّه في الآخِرة، وإنَّ العبد ليأتي يومَ القيامة بحسناتٍ أمثال الجِبال، فيجد لسانَه قد هَدَمها كلَّها، ويأتي بسيئاتٍ أمثالِ الجبال، فيجد لسانَه قد هدَمَها؛ مِن كثرة ذِكْر الله وما اتَّصل به"؛ ا.هـ[55]

المبحث الرابع : فطنة وذكاء

روَى الإمامُ مسلم في صحيحه عن محمَّد بن قيس بن مَخْرَمة بن المطلب: أنَّه قال يومًا: ألاَ أُحدِّثكم عنِّي وعن أمِّي؟ قال: فظننا أنه يُريد أُمَّه التي ولدتْه، قال: قالت عائشةُ – رضي الله عنها –: ألا أُحدِّثكم عنِّي وعن رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم؟ قلنا: بلى، قال: قالت: لَمَّا كانتْ ليلتي التي كان النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – فيها عِندي انقَلَب فوَضَع رِداءَه، وخَلَع نعلَيْه فوضعَهما عندَ رِجليه، وبسط طَرْفَ إزاره على فِراشه فاضطجع، فلم يلبثْ إلاَّ رَيْثما ظنَّ أنْ قد رقدتُ، فأخذ رِداءَه رُويدًا، وانتعل رُويدًا، وفتَح الباب فخَرَج، ثم أجافه رُويدًا، فجعلتُ دِرعي في رأسي واختمرتُ وتقنعتُ إزاري، ثم انطلقتُ على إثره، حتَّى جاء البقيع، فقام فأطال القيام، ثم رَفَع يديه ثلاثَ مَرَّات، ثم انحرَف فانحرفتُ، فأسرع فأسرعتُ، فهرول فهرولتُ، فأحْضَر فأحضرتُ، فسبقتُه فدخلتُ، فلَيْس إلا أنِ اضطجعتُ فدَخَل، فقال: ((ما لَكِ يا عائشُ حَشيَا رابيةً؟!))، قالت: قلت: لا شيء، قال: ((لتُخبريني أو ليُخبِرنِّي اللطيفُ الخبير))، قالت: قلت: يا رسولَ الله، بأبي أنتَ وأمِّي، فأخبرتُه، قال)) :فأنتِ السَّوادُ الذي رأيتُ أمامِي؟)) قلت: نعم، فلهَدَني في صدري لَهدةً أوجعتْني، ثم قال: ((أظننتِ أن يَحيفَ اللهُ عليك ورسولُه؟ ((!قالت: مَهْمَا يكتمِ الناسُ يَعْلمْه اللهُ، نَعَمْ، قال: ((فإنَّ جبريل أتاني حين رأيتِ فناداني، فأخفاه منكِ فأجبتُه فأخفيتُه منك، و لم يكُنْ يدخُل عليك وقد وضعتِ ثيابَك، وظننتُ أنْ قد رقدتِ، فَكرهتُ أن أوقظَك، وخشيتُ أن تستوحشي، فقال: إنَّ ربَّك يأمرُك أن تأتي أهلَ البقيع فتستغفرَ لهم))، قالت: كيف أقولُ لهم

---

[55] -الداء والدواءص227

يا رسولَ الله؟ قال: ((قُولي: السلام على أهل الدِّيار مِنَ المؤمنين والمسلمين، ويَرحَم الله المستقدمين منَّا والمستأخِرين، وإنَّا إنْ شاء الله بِكم للاحِقون)).

في هذا الموقِف تُحدِّث عائشةُ - رضي الله عنه - عن نفسِها، والمرءُ غالبًا إذا حدَّث عن نفسه يَزيد في الكلام حتى يُرِيَ مَن أمامَه أنه صاحِب ثقل، وأنه مهم، ولا يأتي بكلامٍ يشينه، أو يكون فيه ازدراءٌ له أمامَ الآخرين، وكانتْ عائشة - رضي الله عنها - تَحدَّثتْ بكلام عنها وعن رسولِ الله- صلَّى الله عليه وسلَّم - وأخبرتْ أنَّ ثَمَّة ليلةً كان النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - عندها، فغارتْ أن يذهب إلى إحْدَى نسائه، فخرَج مِن عندها وخرجتْ خَلْفَه، وهو لا يَعرِفها، وكان رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - إذا مشَى فكأنما يَتحدَّر من صبب، فرأى خيالاً أمامَه، ثم أسْرَع في الخُطَى، فأسرعتْ؛ حتى لا ينكشفَ أمرُها أمامَ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - فلمْ يعلم أنها السوادُ الذي كان أمامَه، فلاطفَها بترخيم اسمِها، قائلاً: ((ما لَكِ يا عائشُ؟))، وهكذا الرِّجالُ يَنبغي أن يُلاطِفوا نساءَهم، لأنَّ المرأة تستوحش بُعْدَ الرجل عنها، والداعي للملاطفةِ هو المحبَّة والمودَّة، والرسولُ - صلَّى الله عليه وسلَّم - عندَما كانتْ عائشة تشْتكي، كان يكون معها في غايةِ اللُّطف، ضرَبها ضربةً خفيفةً أوجعتْها، لكنها كانتْ من يَدٍ حانية، والنبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - ما كان يَضرِب أحدًا إلاَّ أن تُنتَهَك حُرماتُ الله تعالى، وأخْبَرها أنَّ ربَّه لا يَظلمها، ولا رسولُه، فيستحيل أن يَقعَ منه ظلم لأحدٍ، فضلاً عن أحبِّ الناس إليه، ثم أدارتْ بالكلام، وقالت: ماذا أقول إنْ أتيتُ المقابر، فعَلَى المرأةِ العاقلة إذا تناقَشَتْ مع زوجِها، ورأتْ منه شِدَّةً وعِنادًا في الحوار، أن تُغيِّر طَرَفَ الحوار؛ حتى لا تكون تعيسةً في حياتها، ثم عَلَّمها دعاءً تقوله إذا أتَتِ المقابر.

الموقف الخامس: حكمة النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - في تعامله مع نسائه:

رَوى الإمامُ مسلم في صحيحه: أنَّ عائشة زَوْج النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -قالت: أرْسَل أزواج النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - فاطمةَ بنتَ رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - إلى رسولِ الله -

صلَّى الله عليه وسلَّم -فاستأذنتْ عليه وهو مُضطجِع معي في مِرطي، فأذِنَ لها، فقالت: يا رسولَ الله، إنَّ أزواجَك أرسلْنني إليك يسألْنَك العدلَ في ابنةِ أبي قُحافةَ، وأنا ساكِتة، قالت: فقال لها رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((أي بُنيَّة، ألستِ تُحبِّين ما أُحِب))، فقالت: بلَى، قال: ((فَأحبِّي هذه((، قالت: فقامتْ فاطمةُ حين سمعتْ ذلك مِن رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فرجعتْ إلى أزواج النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – فأخبرتْهنَّ بالذي قالت وبالذي قال لها رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقُلْنَ لها: ما نراكِ أغنيتِ عنَّا مِن شيء، فارجعي إلى رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقولي له: إنَّ أزواجك ينشدنك العدلَ في ابنة أبي قحافة، فقالت فاطمة: والله لا أُكلِّمه فيها أبدًا، قالت عائشة: فأرْسَل أزواج النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – زينبَ بنت جحش زَوْج النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وهي التي كانتْ تُساميني منهنَّ في المنزلة عندَ رسولِ الله -صلَّى الله عليه وسلَّم – ولم أَرَ امرأةً قطُّ خيرًا في الدِّين مِن زينب، وأتْقَى لله، وأصْدق حديثًا، وأوْصَل للرَّحِم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تَصَدَّق به وتَقَرَّب به إلى الله تعالى، ما عدا سَورةً من حَدٍّ كانتْ فيها، تسرع منها الفيئةَ، قالت: فاستأذنتْ على رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ورسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مع عائشةَ في مِرْطها على الحالة التي دخلَتْ فاطمة عليها، وهو بها، فأذِن لها رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقالت: يا رسولَ الله، إنَّ أزواجَك أرسلني إليك يسألْنَك العدلَ في ابنة أبي قحافة، قالت: ثم وقَعَتْ بي فاستطالَتْ عليَّ، وأنا أَرْقُب رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وأرْقُب طَرْفَه: هل يأذن لي فيها؟ قالت: فلم تَبرحْ زينبُ حتى عرَفَتْ أنَّ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – لا يَكْرَه أن أنتصِرَ، قالت: فلمَّا وقعتُ بها لم أنشبْها حين أثخيتُ عليها، قالت :فقال رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وتبسَّم: ((إنَّها ابنةُ أبي بكر)).

ألاَ ما أعظمَ هذا النبيَّ الخاتم – صلَّى الله عليه وسلَّم – وتَلطُّفَه بأهله! فهذا درسٌ للنساء يتعلمْنَ منه، وينظرن إلى هذا الوفاء، فإذا كان هذا الفِعل يُعكِّر على الزوْج فلا تفعله، فإنَّ عائشة – رضي

الله عنها - ما قامتْ ودافعتْ، إنما قالت: "فنظرتُ إلى وجه النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – هل يَكْرَه أن أنتَصِر؟ فهذا دَرْس تُعلِّمه السيِّدة عائشة للنساء، أنَّها تُراعي زوجَها، فإذا كان زوجُها يَتضجَّر من صِفة معيَّنة، فلا يجوز أن تفعلَها أبدًا، وهذا هو مقتضَى الوفاء والعِشْرة بالمعروف، فانظر إلى حِلْمه – عليه الصلاة والسلام – وصبْره على تحمُّل نِسائه، وهكذا الرِّجال يتعلَّمون من سيِّد البشر – عليه الصلاة والسلام – مراعاةَ نفسيَّة النِّساء، وكلُّ نُشوزٍ – أو جُلُّ النشوز – في البيوت سببُه الرجل؛ لأنَّه لا يقوم بحقِّ القِوامة، ولو قام بحقِّ القِوامة لقَلَّ أن تنشُزَ المرأة، فلا تنشُز المرأة إلاَّ بعدما يُهدِر الرجلُ قِوامته، أو بعضها، أو يتسامح فيها.

الموقف السادس: "ما أهجر إلاَّ اسمك:"

رَوى الشيخانِ عن عائشةَ – رضي الله عنها – قالتْ: قال لي رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – : ((إنِّي لأعَلمُ إذا كنتِ عنِّي راضية، وإذا كنتِ عليَّ غَضْبَى))، قالتْ: فقلت: مِن أين تَعرِف ذلك؟ فقال: ((أمَّا إذا كنتِ عنِّي راضية، فإنَّك تقولين: لا وربِّ محمَّد، وإذا كنتِ غضْبَى قلت :لا وربِّ إبراهيم))، قالت: قلت: أَجَلْ، واللهِ يا رسولَ الله، ما أَهْجُر إلا اسمَك.

قال الحافظ ابن حجر" :يُؤخَذ من الحديث استقراءُ الرَّجُل المرأةَ مِن فِعلها وقولها فيما يَتعلَّقُ بالمَيْل إليه وعدمه"؛ ا.هـ[56]

المرأةُ تَشْعُر بالأمان مع زوْجها إذا بادَلَها الحبَّ والمشاعِر، فتجد قلبَها مِلْكًا لزوْجِها، إنْ رأتْ منه ما يُغضِبها لم يُخرجْها غضبُها عليه إلى حدِّ الثورة عليه، على حدِّ قول القائل:

إِنِّي لأَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وَإِنَّنِي

قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لأَمْيَلُ

[56] -فتح الباري 326/9

قال الطِّيبي: هذا الحصْر لطيف جدًّا – يعني: قولها: ما أهجُر إلا اسمَك - لأنَّها أخبرتْ أنها إذا كانتْ في حال الغضَبِ الذي يَسلُب العاقلَ اختيارَه، لا تتغيَّر عن المحبَّة المستقرَّة.

وفي اختيارِ عائشةَ – رضي الله عنها – ذِكْر إبراهيم – عليه الصلاة والسلام - دون غيرِه من الأنبياء دَلالةٌ على مزيدِ فِطنتها؛ لأنَّ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أَوْلَى الناس به – كما نصَّ عليه القرآن – فلمَّا لم يكن لها بُدٌّ مِن هَجْر الاسم الشريف، أبدلتْه بمَن هو منه بسبيل؛ حتى لا تخرج عن دائرةِ التَّعلُّق في الجُمْلة"؛ ا.هـ" [57]

الباب الثاني : رد الشبه والافتراءت عن السيدة عائشة

الفصل الأول :الشبهات وأثرها على القلب

إنَّ نَّ أعداءَ الإسلام - من الشيعة الروافض – لا يفتؤون في نصْب شِباكهم الدنيَّة تجاه أصحاب النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – عمومًا، وأزواج النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – خصوصًا؛ حتى يُشكِّكوا الناسَ في قُدواتهم، ويزعزِعوا عقيدتهم في أصحاب النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – فيذْكُرون شُبهًا؛ حتى يُلبسوا على المسلمين، والناس في زمن الغُربة الثانية بعيدون عن دينهم؛ مِصداقًا لقول النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((بدأَ الإسلامُ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأَ؛ فطُوبَى للغُرباء))؛ [58] .

---

[57] - فتح الباري .(9/326)

[58] - رواه مسلم عن أبي هريرة

لذا يجبُ على المسلم أنْ يصونَ دينَه عن الشُّبهات فلا يستمع إليها؛ لأن الشبهة قد تستقرُّ في قلبه، ولا يستطيع دَفْعَها؛ لضَعف إيمانه، أو قِلَّة عِلمه، أو هما معًا، ولا شكَّ ولا ريبَ أنَّ المسلمَ مأمورٌ باجتباب مواقع الشُّبهات، ومواطن الفِتن، لماذا؟ لأنَّ الحُكماء من هذه الأُمَّة قالوا" :القلوبُ ضعيفة، والشُّبَه خَطَّافة"، ولا ينبغي لعاقلٍ أن يجعلَ قلبَه عُرضة للشُّبهات تستحكمُ قلبَه، ثم يقول: أدفعُها، وأدحضُها، وأكشفُ زيفَ القوم وباطلَهم.

ومَن نظَرَ للواقع عَلِم حقيقةَ الحال، فمن نَجَا من الشهوة، وقَعَ في الشُّبهة، والقليل مَن وفَّقه الله للاعتصام بالكتاب والسُّنة.

قال ابنُ القَيِّم في" مفتاح دار السعادة :"وقوله – أي عَلِي بن أبي طالب – رضي الله عنه- " :ينقدحُ الشكُّ في قلبه بأوَّلِ عارضٍ مِن شُبهة"؛ هذا لضَعف عِلْمه، وقِلَّة بصيرته، إذا وردتْ على قلبِه أدنى شُبهة قدحتْ فيه الشكَّ والريبَ، بخلاف الراسخ في العِلم، لو وردَ عليه من الشُّبَه عددُ أمواج البحر، ما أزالَ يقينَه، ولا قدحَ فيه شكًّا؛ لأنه قد رسَخَ في العِلم، فلا تستفزُّه الشُّبهات، بل إذا وردتْ عليه ردَّها حَرَسُ العلم وجيشُه؛ مغلولةً مغلوبةً .

والشُّبهة واردٌ يَرِدُ على القلب، يحول بينه وبين انكشافِ الحقِّ له، فمتى باشَرَ القلبُ حقيقةَ العلم، لم تؤثِّر تلك الشبهةُ فيه، بل يقوى عِلمُه ويقينه بردِّها ومعرفة بُطْلانها، ومتى لَمْ يُباشرْ حقيقةَ العلم بالحقِّ قلبُه، قدحتْ فيه الشكَّ بأوَّل وهْلة، فإنْ تداركَها وإلاَّ تتابعتْ على قلبه أمثالُها، حتى يصيرَ شاكًّا مُرتابًا.

والقلبُ يتواردُه جيشان من الباطل: جيشُ شهوات الغَي، وجيشُ شبهات الباطل، فأيُّما قلبٍ صغَى إليها، وركَنَ إليها تشرَّبها، وامتلأ بها، فينضح لسانُه وجوارحُه بموجبها، فإنْ أُشْربَ شبهاتِ الباطل، تفجَّرتْ على لسانه الشكوكُ والشبهات والإيرادات، فيظن الجاهلُ أنَّ ذلك لسعة عِلمه، وإنَّما ذلك من عدمِ عِلمه ويقينه.

وقال لي شيخُ الاسلام – رضي الله عنه – وقد جعلتُ أُوردُ عليه إيرادًا بعد إيراد: لا تجعلْ قلبَك للإيرادات والشُّبهات مثل السفنجة فيتشربَها، فلا ينضح إلا بِها، ولكنِ اجعلْه كالزجاجة المصمتة، تمرُّ الشبهات بظاهرِها ولا تستقرُّ فيها، فيراها بصفائه، ويدفعُها بصلابته، وإلاَّ فإذا أَشْرَبْتَ قلبَك كُلَّ شُبهةٍ تمرُّ عليها، صارَ مُقرًّا للشُّبهات، أو كما قال .فما أعلمُ أنِّي انتفعتُ بوصيَّة في دَفْع الشُّبهات كانتفاعي بذلك .وإنما سُمِّيَت الشبهة شبهةً؛ لاشتباه الحقِّ بالباطل فيها؛ فإنَّها تَلْبَس ثوبَ الحقِّ على جِسم الباطل، وأكثرُ الناس أصحاب حُسنٍ ظاهر، فينظر الناظر فيما أُلْبِسَتْهُ من اللباس، فيعتقد صِحَّتَها. وأمَّا صاحبُ العِلم واليقين، فإنَّه لا يغترُّ بذلك، بل يجاوزُ نظرَه إلى باطنها، وما تحتَ لباسِها، فينكشف له حقيقَتُها، ومثال هذا: الدرهم الزائف، فإنَّه يغترُّ به الجاهل بالنقْد؛ نظرًا لِمَا عليه مِن لباس الفضَّة، والناقد البصير يجاوزُ نظرَه إلى ما وراء ذلك، فيطَّلعُ على زَيفه"؛ اهـــ، [59]

والله المرجو والمأمول أنْ يعصمَنا من الشهوات والشبهات، وأنْ يجعلَنا مُعتصمين بكتابه وبسُنة نبيِّه – صلَّى الله عليه وسلَّم.

ثم اعْلم – أخي الكريم – أنَّ الروافضَ – قبَّحهم الله – أكثروا الطعْنَ في أُمِّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بأمورٍ ظنُّوها حقائقَ، وهي في الحقيقة شُبَه أوْهَى من خيوط العنكبوت، وتأثَّر بكلامهم بعضُ بَني جِلْدتنا من الكُتَّاب والصحفيين، بل حتى مَن يعملون في الساحة الإسلاميَّة؛ ممَّن ليس له نصيبٌ من العلم، اغتروا بكلامهم وَوَقَعُوا في شِباكهم بحُسن نيَّة، والله حسيبُهم، وهو المطلع على بواطن الأمور.

[59] -مفتاح دار السعادة لابن القيم 140/1

ولَمَّا كان كلامي دائرًا على دَفْع الشُّبهات عن أُمِّنا عائشة – رضي الله عنها – رأيتُ مِن واجبي أنْ أبدأَ بهذه المقدِّمة؛ تَبْصِرةً لذَوي العقول والألباب.

فمن هذه الشبه والمطاعن:

المطعْن الأول :قول الرافضة – قبَّحهم الله :- إنَّ عائشة وحَفْصة تآمَرَتا؛ لاغتيال النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – فقد وضَعَتا السُّمَّ في فَمِ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وأنَّه ماتَ نتيجةً لذلك!

الجواب:

اعْلَمْ أنَّ الرافضة أكذبُ الفِرَق المنتسبة إلى الإسلام، وأنَّ دينَهم بُني على ذلك الكَذب، وأنَّه ليس لهم أعداء يَحْقدون عليهم، ويسبُّونهم في الليل والنهار أكثر منَ الصحابة – رضي الله عنهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة – رحمه الله : "وقد اتَّفقَ أهْلُ العلم بالنقْل والرواية والإسناد على أنَّ الرافضة أكذبُ الطوائف، والكَذب فيهم قديمٌ؛ ولهذا كان أئمةُ الإسلام يعلمون امتيازَهم بكثرة الكَذب.

قال الشافعي: لم أرَ أحدًا أشْهَدَ بالزور من الرافضة.

وقال محمد بن سعيد الأصبهاني: سمعتُ شُرَيْكًا يقول: احْمِلِ العلمَ عن كلِّ مَن لقِيتَ إلاَّ الرافضة؛ فإنهم يضعون الحديثَ، ويتَّخِذونه دِينًا؛ "[60]

وهذا نص الرواية وكلام العلماء فيها، وأوجهُ الردِّ على الرافضة في زعمهم الكاذب:

---

[60] -" منهاج السُّنَّة (59/1) " .

عن عَائِشَة قالتْ: لَدَدْنا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – في مَرضه، وجعَلَ يُشير إلينا: ((لا تَلُدُّوني))، قالت: فقلْنا: كراهية المريض بالدواء، فلمَّا أفاقَ، قال: ((ألَمْ أنْهَكم أن تَلُدُّوني))، قُلنا: كراهيةً للدواء، فقال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((لا يَبقى منكم أحدٌ إلاَّ لُدَّ وأنا أنظر إلاَّ العبَّاس؛ فإنَّه لم يشهدْكم))؛ [61]

عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحرث بن هشام، عن أسماء بنت عُميس، قالتْ: "أوَّل ما اشْتَكى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في بيت ميمونة، فاشتدَّ مرضُه؛ حتى أُغْمِي عليه، فتشاوَرَ نساؤه في لَدِّه، فلَدُّوه، فلمَّا أفاقَ، قال: ((ما هذا؟))، فقُلْنا: هذا فِعْل نساءٍ جِئْنَ مِن ها هنا، وأشار إلى أرض الحبشة، وكانتْ أسماء بنت عُميس فيهنَّ، قالوا: كنا نتَّهمُ فيك ذاتَ الْجَنْب يا رسول الله، قال: ((إنَّ ذلك لداءٌ ما كان الله – عز وجل – ليَقْرَفُني به؛ لا يَبْقَينَّ في هذا البيت أحدٌ إلاَّ الْتَدَّ، إلاَّ عَمُّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يَعني: العبَّاس))، قال: فلقد الْتَدَّتْ ميمونة يومئذٍ وإنَّها لصائمةٌ، لعَزْمَة رسول الله – صلى الله عليه وسلم". [62]

اللَّدُود :هو الدواء الذي يُصبُّ في أحَدِ جانبي فمِ المريض، أو يُدْخَلُ فيه بأصبع وغيرها ويحنَّك به، وأمَّا الوُجُور: فهو إدخالُ الدواء في وسط الفم، والسَّعُوط: إدخالُه عن طريق الأنف.

---

[61] - رواه البخاري، (6501)، ومسلم (2213)

62- رواه أحمد، (45 / 460)، وصحَّحه الألباني في" السلسلة الصحيحة"، .(3339)

وذات الجَنْب :ورمٌ حارٌّ يَعْرِضُ في نواحى الجَنْب في الغِشاء الْمُستبطِن للأضلاع، ويَلزم ذاتَ الْجَنْب الحقيقى خمسةُ أعراضٍ، وهى: الحُمَّى، والسُّعَال، والوَجَع الناخِس، وضِيق النَّفَس، والنبضُ الْمِنْشَاري؛ [63]

هناك ثَمَّة وقفات مع هاتين الروايتين:

1- إنَّ مَن نقَلَ هذه الحادثة للعالَم هو عائشة – رضي الله عنها - فكيف تنقل للناس قتْلَها لنبيِّها، وزوجها، وحبيبها – صلَّى الله عليه وسلَّم؟ !وكذلك رَوَتِ الحادثةَ أُمُّ سَلَمة، وأسماءُ بنت عُمَيس – رضي الله عنهما – وكلُّ أولئك مُتَّهَمات في دينهنَّ عند الرافضة، ومُشَارِكات في قَتْله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ومع ذلك قَبِلوا روايتهنَّ لهذا الحديث؛ فاعْجَبوا أيُّها العُقلاء!

2- كيف عَرَف الرافضة المجوس مكوِّنات الدواء الذي وضعَتْه عائشة للنبي – صلَّى الله عليه وسلَّم؟!

3- النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أمرَ بأنْ يُوضَعَ الدواء نفسُه في فمِ كلِّ مَن كان في الغُرفة، إلاَّ العبَّاس – رضي الله عنه - فلماذا ماتَ هو – صلَّى الله عليه وسلَّم – منه، وهنَّ لم يَمُتْنَ؟!

4- لماذا لم يُخْبر النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – عمَّه العباس – رضي الله عنه – بما فعَلوه مِن وضْعِ السُّمِّ في فمه – صلَّى الله عليه وسلَّم – حتى يقتصَّ ممن قَتَلَه؟! إذا قُلْتُم أخبرَه: فأين الدَّليل على إخباره؟! وإنْ قُلتُم: لم يخبرْه، فكيف عَلِمتُم أنَّه سمٌّ وليس دواءً، والعباس نفسُه لم يعلم؟!

63 - يُنظر" :زاد المعاد في هَدي خير العباد(4/81-83)".

5- السُّم الذي وضعتْه اليهوديَّة في الطعام الذي قُدِّم للنبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - كُشِفَ أمرُه من الله - تعالى - وأخبرتِ الشاةُ النبيَّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنَّها مسمومةٌ، فلماذا لم يحصلْ معه - صلَّى الله عليه وسلَّم - الأمرُ نفسُه في السُّمِّ الذي وضعتْه عائشة في فمه؟!

6- لم يُعطَ الدواءُ للنبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - من غير عِلَّة، بل أُعْطِيَه مِن مَرضٍ أَلَمَّ به.

7- لم يُعطَ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - الدواءَ إلاَّ بعد أن تشاورَ نساؤه - رضي الله عنهنَّ - في ذلك الإعطاء.

8- لا ننكر أنْ يكونَ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - ماتَ بأثَر السُّم! لكن أيُّ سُمٍّ هذا؟ إنَّه السُّم الذي وضعتْه اليهوديَّة للنبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - في طعام دَعَتْه لأكْله عندها، وقد لفَظَ - صلَّى الله عليه وسلَّم - اللُّقمة؛ لإخبار الله - تعالى - بوجود السُّم في الطعام، فأخبرَ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - في آخر أيَّامه أنَّه يجدُ أثَرَ تلك اللُّقمة على بَدَنه، ومِن هنا قال مَن قال مِن سَلف هذه الأُمة: إنَّ الله - تعالى - جمَعَ له بين النبوَّة والشهادة.

والعجيبُ أنَّ بعضَ الرافضة يُنكرون هذه الرواية، ويبرِّئون اليهود من تلك الفَعْلة الدنيئَة؛ مع تواتُر الرواية، وصحَّة أسانيدها، ومع إخبار الله - تعالى - أنَّ اليهودَ يَقتلون النبيِّين، ومع ذلك برَّأتْهم الرافضةُ! وغيرُ خافٍ على المطلع لسببِ ذلك الدفاع عن اليهود مِن قِبَل الرافضة - أنَّ مُؤسِّسَ هذا

المذهب هو" عبدالله بن سبأ اليهودي"، فصارَ من الطبيعي أنْ يُبرَّأَ اليهود مع صحة الرواية، وتُلْصَق التهمة بأجِلاَّء الصحابة، مع عدم وجود مُستند صحيحٍ ولا ضعيف!

9- من الواضح في الرواية أنَّ نساءَ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – لم يَفْهَمْنَ مِن نَهْي النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – بعدم لَدِّه أنَّه نَهْيٌ شَرْعي، بل فَهِموا أنَّه من كراهية المريض للدواء، وفَهْمُهم هذا ليس بمستنكرٍ في الظاهر، وقد صرَّحوا بأنهم – وإنْ لم يكنْ لهم عذرٌ عند النبي، صلَّى الله عليه وسلَّم؛ لأنَّ الأصْلَ هو الاستجابة لأمرِه، صلَّى الله عليه وسلَّم – قد أخطؤوا في تشخيص دَائه – صلَّى الله عليه وسلَّم – لذا فقد ناوَلوه دواءً لا يُناسب عِلَّته.

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله" :وإنَّما أنْكَرَ التداوي؛ لأنَّه كان غيرَ ملائمٍ لدائه؛ لأنهم ظنُّوا أنَّ به "ذات الْجَنْب"، فداووه بما يلائمها، ولم يكنْ به ذلك؛ كما هو ظاهر في سياق الخبر كما ترى".[64]

10- وهل اقتصَّ منهم – صلَّى الله عليه وسلَّم – أو أرادَ تأديبَهم؟ الظاهرُ أنَّ ما فعَلَه – صلَّى الله عليه وسلَّم – مِن إلزامهم بتناول ذلك اللَّدُود أنَّه مِن باب التأديب، ومما يدلُّ على أنَّه ليس مِن باب القِصاص، أنَّه لم يُلزمْهم بالكميَّة؛ وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله" :والذي يظهرُ أنَّه أرادَ بذلك تأديبهم؛ لئلا يعودوا، فكان ذلك تأديبًا، لا قِصاصًا، ولا انتقامًا .[65]

---

[64] - فتح الباري" (8/147-148)

65 - "؛" فتح الباري"، (8/147)

11- الاشتباه بنوع مَرضه – صلَّى الله عليه وسلَّم – محتملٌ؛ لأنَّ كلاًّ منهما – أي ما كان فيه – صلَّى الله عليه وسلَّم – مِن مرضٍ، وما ظنُّوه – له الاسم نفسه؛ فكلاهما يُطلق عليه" :ذات الْجَنْب"، وكلاهما له مكان الألم نفسه، وهو" الْجَنْب."

قال ابنُ القَيِّم – رحمه الله" :- وذاتُ الْجَنْب عند الأطبَّاء نوعان؛ حقيقي، وغير حقيقي، فالحقيقي: ورمٌ حارٌّ يَعْرِضُ في نواحي الجَنْب في الغِشاء المستبطن للأضلاع، وغير الحقيقي: أَلَمٌ يُشْبِهه يَعْرِضُ في نواحي الْجَنْبِ عن رياحٍ غليظة، مُؤْذيةٍ، تحتقِن بين الصِّفاقات – وهي الأغشية التي تُغلِّف أعضاءَ البطن – فتُحْدِث وجَعًا قريبًا من وجَعِ ذات الْجَنْب الحقيقي، إلاَّ أنَّ الوجَعَ في هذا القسم ممدودٌ، وفي الحقيقي ناخسٌ."

وقال" :والعلاج الموجود في الحديث ليس هو لهذا القسم، لكن للقسم الثاني الكائن عن الريح الغليظة، فإنَّ القسطَ البحري – وهو العودُ الهندي على ما جاء مُفسَّرًا في أحاديث أُخَر – صِنفٌ من القُسْط، إذا دُقَّ دقًّا ناعِمًا، وخُلِط بالزيت المسخَّن، ودُلك به مكانُ الريح المذكور، أو لُعِقَ، كان دواءً موافِقًا لذلك، نافعًا له، مُحلِّلًا لمادته، مُذْهِبًا لها، مُقويًّا للأعضاء الباطنة، مفتِّحًا للسُّدد، والعودُ المذكور في منافعه كذلك". [66]

فهنَّ – رضي الله عنهنَّ – اعتقدْنَ أن مرضَه – صلَّى الله عليه وسلَّم – هو الأوَّل الحقيقي، وهو الذي استبعدَ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أن يَبْتليه الله به، وقد نَاوَلْنَه دواءَ المرض الآخَر، وكان الدواء هو" القُسط الهندي"، وقد دَقَقْنَه وخَلْطْنَه بزيتٍ – كما في رواية الطبراني – وهو مُفيد لِمَن تناوله حتى لو لم يكنْ به مرضٌ؛ لذا فقد أمَرَ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – كلَّ مَن شارَك في إعطائه له، ومَن رَضِي به أمر أنْ يلَدَّ به! ولو كان فيه ضررٌ لَمَا أمَرَ بذلك – صلَّى الله عليه وسلَّم.

---

[66] -"زاد المعاد في هَدي خير العباد"، (4/81-82).

المطعن الثاني :ادِّعاء بعض الكتاب والصحفيين أنَّ العمر الحقيقي للسيدة عائشة – رضي الله عنها – حين بَنَى بها رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – كان 18 سنة، وليس 9 سنين، واتَّهامها بعدم رشادها ورجَاحة عَقْلِها، فكيف يكون لها زواج؟!

الجواب:

جاءت الأحاديث الصحيحة بأنَّ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – عقَدَ على عائشة – رضي الله عنها – وهي بنت ستٍّ سنين، ودخَلَ بها وهي بنت تسعِ سنين، ومن ذلك:

عن عائشة – رضي الله عنها – قالتْ: "تزوَّجني النبي – صلى الله عليه وسلم – وأنا بنتُ ستٍّ سنين، فقَدِمْنا المدينة، فنزَلْنا في بني الحارث بن خزرج، فوُعِكْتُ؛ أي: أصابتْها حُمَّى، فأتتْني أُمِّي أُمُّ رُومان وإنِّي لفي أرجوحة ومعي صواحبُ لي، فصَرَخَتْ بي فأتيتُها لا أدري ما تريد بي، فأخذتْ بيدي حتى أوقفتْني على باب الدار وإني لأنْهَجُ حتى سَكَنَ بعضُ نفسي، ثم أخذتْ شيئًا من ماءٍ فمسحتْ به وجْهي ورأْسي، ثم أدْخَلَتْني الدارَ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقُلْنَ: على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسْلَمَتْني إليهنَّ، فأصْلَحْنَ مِن شأْني، فلم يَرُعْنِي إلاَّ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – ضحًى، فأسْلَمَتْني إليه – وأنا يومئذٍ بنت تسع سنين".[67]

[67] - رواه البخاري، (3894)، ومسلم (1422) .

وعنها – رضي الله عنها – قالتْ: "كنتُ ألعبُ بالبنات عند النبي – صلى الله عليه وسلم – وكان لي صواحبُ يَلْعَبْنَ معي، فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا دخَلَ يَتَقَمَّعْنَ؛ أي: يَتَخَفَّيْنَ منه، فيُسَرِّبُهُنَّ إليّ، فيَلْعَبْنَ معي". [68]

وروى أبو داود (4932) عنها – رضي الله عنها – قالتْ: "قَدِم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من غزوة" تبوك أو خيبر"، وفي سَهْوَتِها سِتْرٌ، فهبَّتْ ريحٌ فكشفتْ ناحيةَ السِّتْر عن بنات – لعائشة – لُعَبٍ، فقال: ((ما هذا يا عائشة؟)) قالتْ: بناتي، ورأى بينهُنَّ فَرَسًا له جَناحان مِن رِقَاع، فقال: ((ما هذا الذي أرى وسطهُنَّ؟)) قالتْ: فَرَس، قال: ((وما هذا الذي عليه؟)) قالتْ: جَناحان، قال: ((فرس له جناحان؟)) قالتْ: أما سمعتَ أنَّ لسليمان خَيْلاً لها أجْنِحة؟ قالتْ: فضَحِك حتى رأيتُ نواجِذَه". [69]

قال الحافظ" :قال الخَطَّابي: وإنَّما أرْخَصَ لعائشة فيها؛ أي: اللُّعَب؛ لأنها إذْ ذاك كانت غيرَ بالغٍ، قلتُ: وفي الجزم به نظرٌ لكنَّه مُحتملٌ؛ لأن عائشة كانتْ في غزوة خيبر بنت أربع عشرة سنة؛ إمَّا أكملَتْها أو جاوزَتْها أو قاربَتْها، وأمَّا في غزوة تبوك فكانتْ قد بلغتْ قَطْعًا؛ فيترجَّح رواية مَن قال في خَيْبَر أ. هـــ [70]

وخَيْبَر كانتْ سنة سبعٍ.

وروى مسلم عن عائشة – رضي الله عنه – أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – تزوَّجها وهي بنت سبعِ سنين، وزُفَّتْ إليه وهي بنت تسعِ سنين، ولُعَبُها معها، وماتَ عنها وهي بنت ثمان عشرة. [71]

---

[68] - رواه البخاري (7130)، ومسلم (2440).
[69] - وصحَّحه الألباني في" آداب الزفاف"، (ص203)
[70] - فتح الباري 527/10
[71] - (1422)

قال النووي" :المرادُ هذه اللُّعَب المسمَّاة بالبنات – العرائس – التي تلعبُ بها الجواري الصِّغار، ومعناه التنبيه على صِغَر سنِّها"؛ انتهى.[72]

وفي هذه الرواية قالتْ: (وأنا بنت سبعِ سنين)، وفي أكثر الروايات: (بنت سِت)، والجمع بينهما أنَّه كان لها ستٌّ وكَسْر، فمرَّة اقتصرتْ على السنين، ومرة عَدَّتِ السنة التي دخلتْ فيها؛ أفادَه النووي.[73]

وقد نقَل ابنُ كثير – رحمه الله – أنَّ هذا أمرٌ مُتَّفقٌ عليه بين العلماء، ولم يُذكرْ عن أحدٍ منهم خلافُه، فقال – رحمه الله" :قوله: (تزوَّجَها وهي ابنة ست سنين، وبَنَى بها وهي ابنة تسع)، مما لا خِلافَ فيه بين الناس – وقد ثبتَ في الصِّحاح وغيرها – وكان بناؤه بها – عليه السلام – في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة"؛[74]

ومن المعلوم أنَّ الإجماع معصومٌ من الخطأ؛ فإنَّ الأُمَّة لا تجتمعُ على ضَلالة؛ فقد روى الترمذي عن ابنِ عُمر – رضي الله عنهما – أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ((إنَّ الله لا يجْمعُ أُمَّتِي على ضَلالة))،[75]

أما مسألة صِغَر سنِّها – رضي الله عنها – واستشكالك لهذا، فاعْلم أنَّ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – نشأ في بلاد حارَّة – وهي أرض الجزيرة – وغالبُ البلاد الحارَّة يكون فيها البلوغ مُبكِّرًا، ويكونُ الزواج المبكِّر، وهكذا كانُ الناس في أرض الجزيرة إلى عهْد قريبٍ، كما أنَّ النساء يَخْتَلِفْنَ؛ من حيث البِنْيَة والاستعداد الجِسْمي لهذا الأمر، وبينهُنَّ تفاوتٌ كبيرٌ في ذلك.

---

[72] - شرح النووي على صحيح مسلم 208/9

[73] - شرح النووي على صحيح مسلم 207/9

74 - انظر" البداية والنهاية"،(161/3)

75 - سنن الترمذي (2167)وصحَّحه الألباني في" صحيح الجامع"، .(1848)

المطعن الثالث :إنْ كانت عائشة خرجتْ تقاتِلُ عَلِيًّا، فلماذا لم يسبها في معركة الجَمَل؟

الجواب:

أولًا :إنَّ مُعتقَد أهْلِ السُّنة والجماعة الإمساكُ عمَّا جَرَى بين أصحاب النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – والترضِّي عنهم جميعًا، واعتقادُ أنهم مجتهدون في طلب الحقِّ؛ للمصِيب منهم أجران، وللمُخْطِئ أجرٌ واحد.

ولَمَّا كانتْ كُتب التاريخ مَشحونة بكثيرٍ من الأخبار المكذوبة التي تحطُّ من قَدْر هؤلاء الأصحاب الأخيار، وتصوِّرُ ما جَرَى بينهم على أنَّه نزاعٌ شخصي أو دُنيوي، فإليك جُملة من الأخبار الصحيحة حول هذه المعركة، وبيان الدافع الذي أدَّى إلى اقْتِتال الصحابة الأخيار – رضي الله عنهم.

أولًا :بُويع عَلِي – رضي الله عنه – بالخلافة بعد مَقتل عثمان – رضي الله عنه – وكان كارهًا لهذه البيعة رافضًا لها، وما قَبِلَها إلاَّ لإلحاح الصحابة عليه، وفي ذلك يقول – رضي الله عنه –: "ولقد طاشَ عقْلِي يوم قُتِل عثمان، وأنكرت نفسي، وجاؤوني للبيعة فقلتُ: والله إني لأستحيي مِن الله أنْ أُبايعَ قومًا قتَلوا رجلاً قال له رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة))، وإنِّي لأستحيي مِن الله أنْ أُبايعَ وعثمانُ قتيلٌ على الأرض لم يُدْفَنْ بعدُ، فانْصرِفوا، فلمَّا

دُفِن رجَعَ الناس فسألوني البيعةَ، فقلتُ: اللهمَّ إنِّي مُشفقٌ مما أقْدِم عليه، ثم جاءتْ عزيمة فبايعتُ، فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين، فكأنَّما صُدِعَ قلبي، وقلتُ: اللهمَّ خُذْ منِّي لعثمان حتى ترضَى".[76]

ثانيًا : لم يكنْ عَلِي – رضي الله عنه – قادرًا على تنفيذ القِصاص في قَتَلة عثمان – رضي الله عنه – لعدم عِلْمه بأعيانهم، ولاختلاط هؤلاء الخوارج بجيشه، مع كثرتهم واستعدادِهم للقِتال، وقد بلَغَ عددُهم ألْفَي مقاتل كما في بعض الروايات؛ كما أنَّ بعضَهم ترَكَ المدينة إلى الأمصار عقب بيعة عَلِي.

وقد كان كثيرٌ من الصحابة خارج المدينة في ذلك الوقت، ومنهم أُمَّهات المؤمنين – رضي الله عنهنَّ – لانشغال الجميع بالحجِّ، وقد كان مَقتلُ عثمان – رضي الله عنه – يوم الجمعة لثمان عشرة خَلَتْ من ذي الحجة، سنة خمسة وثلاثين على المشهور.

ثالثًا :لَمَّا مَضَتْ أربعة أشهر على بيعة عَلِي دون أنْ ينفِّذَ القِصاصَ، خرَجَ طلحة والزبير إلى مكة، والْتَقوا بأُمِّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – واتَّفقَ رأيُهم على الخروج إلى البصرة؛ ليقفوا بِمَن فيها من الخيل والرجال – ليس لهم غرضٌ في القتال – وذلك تمهيدًا للقبْض على قَتَلة عثمان – رضي الله عنه – وإنفاذِ القِصاص فيهم.

76 - رواه الحاكم، وصحَّحه على شرْط الشيخين، ووافقَه الذهبي

ويدلُّ على ذلك ما أخرجَه أحمد في" المسند"، والحاكم في" المستدرك :"أنَّ عائشة – رضي الله عنها – لما بلغَتْ مياه بَني عامر ليلًا، نبحتِ الكلاب، قالتْ :أيُّ ماء هذا؟ قالوا: ماء الحَوْأَب، قالتْ: ما أظنُّني إلا راجعة؛ إنَّ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال لنا: ((كيف بإحداكُنَّ تنبحُ عليها كلابُ الحَوْأَب))؛ فقال لها الزبير: ترجعينَ! عسى الله – عزَّ وجلَّ – أن يُصلحَ بكِ بين الناس[77].

رابعًا :وقد اعتبرَ عَلِي – رضي الله عنه – خروجَهم إلى البصرة واستيلاءَهم عليها نوعًا من الخروج عن الطاعة، وخَشِي تمزُّق الدولة الإسلاميَّة، فسَارَ إليهم – رضي الله عنه – وكان أمرُ الله قدْرًا مَقْدورًا.

خامسًا :وقد أرَسَلَ علي – رضي الله عنه – القعقاع بن عمرو إلى طلحة والزبير يدعوهما إلى الأُلْفة والجماعة، فبدأ بعائشة – رضي الله عنها – فقال: أي أُمَّاه، ما أقْدَمَك هذا البلد؟ فقالتْ: أي بُنَي، الإصلاحُ بين الناس.

قال ابنُ كَثير – رحمه الله – في" البداية والنهاية" :"فرجَعَ إلى علي فأخبرَه، فأعجبَه ذلك، وأشرفَ القومُ على الصُّلْح؛ كَرِه ذلك مَن كَرِهه، ورَضِيه مَن رَضِيه، وأَرْسَلتْ عائشة إلى علي تُعْلِمه أنَّها إنَّما جاءتْ للصلح، ففرِحَ هؤلاء وهؤلاء، وقامَ عَلِي في الناس خطيبًا، فذكَرَ الجاهليَّة وشقاءَها وأعمالَها، وذَكَرَ الإسلام وسعادة أهْله بالأُلفة والجماعة، وأنَّ الله جمعَهم بعد نبيِّه – صلَّى الله عليه وسلَّم – على الخليفة أبي بكر الصديق، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان، ثم حدَثَ

---

[77] - قال الألباني: إسنادُه صحيح جدًّا، صحَّحه خمسة من كبار أئمة الحديث هم: ابن حِبَّان، والحاكم، والذهبي، وابن كَثير، وابن حَجر؛" سلسلة الأحاديث الصحيحة"، رقم (474).

هذا الحدَث الذي جرَّه على الأُمَّة أقوامٌ طلبوا الدنيا، وحسدوا مَن أنعمَ الله عليه بها، وعلى الفضيلة التي مَنَّ الله بها، وأرادوا ردَّ الإسلام والأشياء على أدْبارها، والله بالغُ أمرِه، ثم قال: ألا إنِّي مُرتحلٌ غدًا فارتحلوا، ولا يرتحلُ معي أحدٌ أعانَ على قتْلِ عثمان بشيءٍ من أمور الناس، فلمَّا قال هذا، اجتمَعَ مِن رؤوسهم جماعة كالأشتر النخعي، وشُريح بن أوْفى، وعبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء، وغيرهم في ألفين وخمسمائة، وليس فيهم صحابي ولله الحمد، فقالوا :ما هذا الرأْي؟ وعلي – والله – أعلمُ بكتاب الله مِمَّن يَطْلب قَتَلة عثمان، وأقربُ إلى العمل بذلك، وقد قال ما سمعتُم، غدًا يَجمع عليكم الناس، وإنَّما يريدُ القومُ كلُّهم أنتم، فكيف بكم وعددُكم قليلٌ في كثرتهم.

فقال الأشتر: قد عرَفْنا رأْي طلحةَ والزبير فينا، وأمَّا رأْي عَلِي، فلمْ نعرفْه إلاَّ اليوم، فإنْ كان قد اصْطَلحَ معهم، فإنَّما اصْطَلح على دمائِنا، ثم قال ابنُ السوداء – قبَّحه الله –: يا قوم، إنَّ عِزَّكُم في خلطة الناس، فإذا الْتَقَى الناسُ، فانشبوا الحربَ والقتال بين الناس، ولا تدعوهم يجتمعون"؛ [78]انتهى كلام ابن كثير.

وذكَرَ ابنُ كثير أنَّ عَليًّا وصَلَ إلى البصرة، ومكَثَ ثلاثة أيَّامٍ، والرُّسل بينه وبين طلحةَ والزبير، وأشارَ بعضُ الناس على طلحةَ والزبير بانتهاز الفرصة مِن قتَلَة عثمان، فقالا: إنَّ عَليًّا أشارَ بتسكين هذا الأمرِ، وقد بعثْنا إليه بالمصالحة على ذلك.

ثم قال ابنُ كثير: "وباتَ الناسُ بخير ليلة، وباتَ قَتَلة عثمان بشرِّ ليلة، وباتوا يتشاورن، وأجمعوا على أنْ يُثيروا الحربَ من الغَلَس، فنَهَضُوا من قبل طلوع الفجر، وهم قريبٌ من ألْفَي رجلٍ، فانصرَفَ كلُّ فريقٍ إلى قَراباتهم، فهَجَمُوا عليهم بالسيوف، فثارتْ كلُّ طائفة إلى قومِهم ليمنعوهم، وقامَ

[78] - البداية والنهاية (10-451-452) ط دار هجر

الناس من مَنامهم إلى السلاح، فقالوا: طَرَقَتْنا أهْلُ الكوفة ليلًا، وبيَّتونا وغَدروا بنا، وظنُّوا أنَّ هذا عن ملأٍ من أصحاب عَلِي، فبلَغَ الأمر عَليًّا، فقال :ما للناس؟ فقالوا: بيَّتنا أهْلُ البصرة، فثارَ كلُّ فريقٍ إلى سلاحه، ولَبِسوا اللأمة، ورَكِبوا الخيول، ولا يَشْعر أحدٌ منهم بما وقَعَ الأمرَ عليه في نفْس الأمر، وكان أمرُ الله قدرًا مَقدَّرًا، وقامتْ الحربُ على ساق وقدم، وتبارَزَ الفرسان، وجالتِ الشُّجعان، فنشبتِ الحرب، وتواقَفَ الفريقان، وقد اجتمعَ مع عَلِي عشرون ألفًا، والتفَّ على عائشة ومَن معها نحو من ثلاثين ألفًا، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وَالسَّبَئِيَّةُ أصحاب ابن السوداء – قبَّحه الله – لا يفترون عن القتْل، ومنادي علي ينادي: ألا كُفُّوا ألا كُفُّوا، فلا يسمعُ أحدٌ"؛ انتهى كلام ابن كثير – رحمه الله.[79]

سادسًا :وإنَّ أهمَّ ما ينبغي بيانُه هنا، ما كان عليه هؤلاء الصحابة الأخيار من الصِّدْق والوفاء والحبِّ لله – عزَّ وجلَّ – رغم اقتتالهم، وإليك بعضَ النماذج الدالَّة على ذلك:

1– روى ابنُ أبي شيبة في مصنَّفه بسندٍ صحيح عن الحسن بن علي قال" :لقد رأيتُه – يَعني عَليًّا – حين اشتدَّ القتال يلوذُ بي ويقول: يا حَسن، لوَدِدْتُ أنِّي مِتُّ قبل هذا بعشرين حِجَّة أو سنة."

2– وقد تركَ الزبير القتال ونزلَ واديًا، فتَبِعه عمرو بن جُرْمُوز، فقتلَه وهو نائم غِيلة، وحين جاء الخبرُ إلى عَلِي – رضي الله عنه – قال: بشِّرْ قاتلَ ابن صفيَّة بالنار، وجاء ابنُ جُرْمُوز معه سيف الزبير، فقال عَلِي: إنَّ هذا السيف طالَ ما فرَّجَ الكربَ عن وجْه رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم.

[79] - البداية والنهاية (10/ 455)

3- وأمَّا طلحة - رضي الله عنه - فقد أُصيبَ بسهْمٍ في رُكْبته فماتَ منه، وقد وقَفَ عليه علي - رضي الله عنه - فجعَلَ يمسحُ عن وجْهه التراب، وقال" :رحمة الله عليك أبا محمد، يعزُّ علي أن أراك مُجدولًا تحتَ نجوم السماء، ثم قال: إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري، والله لوَدِدْتُ أنِّي كنتُ مِتُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة."

وقد رُوي عن علي من غير وجْه أنَّه قال: إنِّي لأرجو أنْ أكونَ أنا وطلحة والزبير وعثمان ممن قال الله فيهم :﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾]الحج: 47.[

4- وقيل لعَلي: إنَّ على الباب رَجُلين ينالان من عائشة، فأمَرَ القعقاع بن عمرو أن يَجْلِدَ كلَّ واحدٍ منهما مائةً، وأنْ يُخْرِجَهما من ثيابها.

5- وقد سألتْ عائشة - رضي الله عنه - عمَّن قُتِل معها من المسلمين، ومِن قُتِل مِن عسكر علي، فجعلتْ كلَّما ذُكِر لها واحدٌ منهم، ترحَّمتْ عليه ودَعَتْ له.

6- ولَمَّا أرادتِ الخروج من البصرة، بعثَ إليها عَلِي بكلِّ ما ينبغي من مَركبٍ وزادٍ ومَتاعٍ، واختارَ لها أرْبَعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وسيَّرَ معها أخاها محمد بن أبي بكر - وكان في جيش عَلِي - وسارَ عَلِي معها؛ مُودِّعًا، ومُشيِّعًا أميالًا، وسرَّحَ بَنيه معها بقيَّة ذلك اليوم.

7- وودَّعَتْ عائشة الناسَ وقالتْ: يا بَني لا يعتبْ بعضُنا على بعضٍ؛ إنَّه والله ما كان بيني وبين عَلِي في القِدَم إلاَّ ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنَّه على معتبتي لمن الأخْيَار، فقال عَلِي: صَدَقْتِ، والله ما كان بيني وبينها إلاَّ ذاك، وإنَّها لزوجة نبيِّكم - صلَّى الله عليه وسلَّم - في الدنيا والآخرة.

8- ونادَى منادٍ لعلي" :لا يُقْتَل مُدْبر، ولا يُذَفف على جريح، ومَن أغلقَ باب داره فهو آمِن، ومَن طرَحَ السلاح فهو آمِن"، وأمَرَ علي بجمْعِ ما وجَدَ لأصحاب عائشة – رضي الله عنها – في العسكر، وأنْ يُحْملَ إلى مسجد البصرة، فمَن عَرَف شيئًا هو لأهْلهم، فليَأْخذه.

فهذا – وغيره – يدلُّ على فضْل هؤلاء الصحابة الأخيَار، ونُبلِهم واجتهادهم في طلب الحقِّ، وسلامة صدورِهم من الغِلِّ والحِقْد والهوى، فرَضِي الله عنهم أجمعين.

فعائشة – رضي الله عنه – ما خرجتْ إلاَّ للإصلاح بين الناس، وأنْ يراها الناس، فيكفُّوا عن القتال.

وأما وقوع عائشة – رضي الله عنها – في السَّبْي في هذه الموقِعة، فلم يحدثْ؛ فقد كان مما أخَذَ الخوارج على عَلِي – رضي الله عنه – أنَّه قاتَلَ و لم يأْخُذ السَّبْي أو الغنائم، فقد ذَكَر أهْلُ السِّيَر والتاريخ – في المناظرة التي جرتْ بين ابن عباس – رضي الله عنهما – والخوارج – أنَّهم قالوا عن عليٍّ – رضي الله عنه –: إنَّه قاتَلَ و لم يَسبِ و لم يَغْنم، فإنْ حلَّتْ له دماؤهم، فقد حلَّتْ له أموالُهم، وإنْ حَرُمتْ عليه أموالُهم، فقد حَرُمَتْ عليه دماؤهم، فقال لهم ابن عباس – رضي الله عنهما :- أفتَسْبون أُمَّكم؟ يَعني عائشة – رضي الله عنها - أم تستحلُّون منها ما تستحلُّون مِن غيرها؟ !فإنْ قلتُم: ليستْ أُمَّكم فقد كفرْتُم، وإنْ قلتُم: إنَّها أُمُّكم واستحلَلْتُم سَبْيَها، فقد كفرْتُم، إلى آخر ما ورَدَ في هذه المناظرة. [80]

[80] - انظر هذه المناظرة في مستدرك الحاكم164/2 ، والسنن الكبرى للبيهقي309/8

المطعن الرابع :قول الراوفض – قبَّحهم الله – أنَّها – أي: عائشة – أذاعتْ سِرَّ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وقال لها النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((إنَّك تقاتلين عَلِيًّا وأنتِ ظالمة له، ثم إنَّها خالفتْ أمرَ الله في قوله – تعالى :- ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾]الأحزاب: 33]، وخرجتْ في ملأ الناس؛ لتقاتِلَ عَلِيًّا على غير ذنبٍ؛ لأنَّ المسلمين أجمعوا على قتْل عثمان، وكانتْ هي في كلِّ وقتٍ تأمُرُ بقتْلِه، وتقول: اقتلوا نعثلًا، قتَلَ الله نعثلًا، ولما بلَغَها قتْلُه، فَرِحتْ بذلك، ثم سألتْ :مَن تولَّى الخلافة؟ فقالوا: عَلِي، فخرجَتْ لقتاله على دمِ عثمان، فأيُّ ذنبٍ كان لعليّ على ذلك؟!

الجواب:

يقول شيخُ الإسلام ابن تيميَّة: أمَّا أهل السُّنَّة، فإنَّهم في هذا الباب وغيره قائمون بالقِسْط شهداءُ لله، وقولُهم حقٌّ وعَدْلٌ لا يَتناقض، وأمَّا الرافضة وغيرُهم من أهْل البِدَع، أهْلُ كَذب وافتراءاتٍ وضلال.

وإذا كان هذا أصْلُهم، فنقول: إنَّ ما يُذكَرُ عن الصحابة من السيِّئات كثيرٌ منه كَذب، وكثيرٌ منه كانوا مجتهدين فيه، ولكنْ لم يعرفْ كثيرٌ من الناس وجْه اجتهادِهم، وما قُدِّر أنَّه كان فيه ذنبٌ من الذنوب لهم، فهو مغفور لهم؛ إمَّا بتوبة، وإمَّا بحسنات ماحِية، وإمَّا بمصائب مُكَفِّرة، وإمَّا بغير ذلك، فإنَّه قد قامَ الدليلُ الذي يجبُ القول بموجبه أنَّهم مِن أهْل الجنة، فامتنعَ أنْ يفعلوا ما يُوجبُ النارَ لا محالةَ، وإذا لم يمتْ أحدٌ منهم على موجبِ النار، لم يقدحْ ما سوى ذلك في استحقاقهم للجنة.

أما قوله" :وأذاعتْ سِرَّ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم"، فلا ريبَ أنَّ الله – تعالى – يقول : ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾]التحريم: 3]، وقد ثبتَ في الصحيح عن عُمر أنَّهما عائشة وحَفْصة.

فيُقال أولًا :هؤلاء يَعمدون إلى نصوص القرآن التي فيها ذِكْر ذنوبٍ ومعاصٍ بيِّنة لِمَن نصَّتْ عنه من المتقدِّمين يتأوَّلون النصوصَ بأنواع التأويلات، وأهْل السُّنة يقولون: بل أصحاب الذنوب تابوا منها، ورفعَ الله درجاتهم بالتوبة.

وهذه الآية ليستْ بأَوْلى في دَلالتها على الذنوب من تلك الآيات، فإنْ كان تأويل تلك سائغًا، كان تأويل هذه كذلك، وإنْ كان تأويلُ هذه باطلًا، فتأويل تلك أبْطل.

ويُقال ثانيًا :بتقدير أنْ يكونَ هناك ذنبٌ لعائشة وحَفْصة، فيكونان قد تابتا منه، وهذا ظاهرٌ؛ لقوله – تعالى :- ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾]التحريم: 4.[

فدعاهما الله – تعالى – إلى التوبة، فلا يُظنُّ بهما أنَّهما لم يتوبا، مع ما ثبتَ من عُلوِّ درجتهما، وأنَّهما زوْجتا نبيِّنا في الجنة، وأنَّ الله خيَّرهُنَّ بين الحياة الدنيا وزينتها، وبين الله ورسوله والدارِ الآخرة، فاخْتَرْنَ الله ورسولَه والدارَ الآخرة؛ ولذلك حرَّم الله عليه أنْ يتبدَّلَ بهنَّ غيرهُنَّ، وحرَّم عليه أن يتزوَّج عليهنَّ، واختُلِفَ في إباحة ذلك له بعد ذلك، وماتَ عنهنَّ وهُنَّ أُمَّهات المؤمنين بنصِّ القرآن، ثم قد تقدَّمَ أنَّ الذنبَ يُغفر ويُعفى عنه؛ بالتوبة، وبالحسنات الماحية، وبالمصائب المكَفِّرة.

ويُقال ثالثًا :المذكورُ عن أزواجه كالمذكور عمَّن شَهِد له بالجنة من أهْل بيته وغيرهم من الصحابة، فإن عَلِيًّا لما خَطَبَ ابنة أبي جهْل عَلى فاطمة، وقامَ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – خطيبًا، فقال: ((إنَّ بَنِي المغيرة استأذنوني أن يُنكِحوا عَلِيًّا ابنتهم، وإني لا آذنُ ثم لا آذنُ ثم لا آذن، إلاَّ أنْ يريدَ ابن أبي طالب أن يُطَلِّق ابنتي ويتزوَّج ابنتهم، إنما فاطمة بِضْعَةٌ منِّي يُريبُني ما أرابَها، ويُؤذيني ما آذاها))[81].

فلا يُظنُّ بعليٍّ – رضي الله عنه – أنه ترَكَ الخِطبة في الظاهر فقط، بل ترَكَها بقلبه وتابَ بقلبه عمَّا كان طلبَه وسَعَى فيه.

وأمَّا الحديث الذي رواه وهو قوله لها: (تُقاتلين عَلِيًّا وأنتِ ظالمة له)، فهذا لا يُعرف في شيءٍ من كتب العلم المعتمدَة، وليس له إسنادٌ معروف، وهو بالموضوعات المكذوبات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كَذبٌ قَطعًا؛ فإنَّ عائشة لم تُقاتِلْ ولم تخرجْ لقتالٍ، وإنما خرجتْ لقصدِ الإصلاح بين المسلمين، وظنَّتْ أنَّ في خروجِها مصلحة للمسلمين، ثم تبيَّنَ لها فيما بعد أنَّ ترْكَ الخروج كان أَوْلَى، فكانتْ إذا ذَكَرتْ خروجَها، تَبكي حتى تَبُلَّ خِمارَها.

وهكذا عامَّة السابقين نَدِموا على ما دخلوا فيه من القتال، فنَدِم طلحةُ والزبير وعَلِيّ – رضي الله عنهم أجمعين – ولم يكنْ يومَ" الجَمَل "لهؤلاء قصْدٌ في الاقتتال، ولكنْ وقَعَ الاقْتتال بغير اختيارهم؛ فإنَّه لَمَّا تراسَلَ عليّ وطلحة والزبير، وقصدُوا الاتفاقَ على المصلحة، وأنهم إذا تمكَّنوا طلَبُوا قَتَلَة عثمان أهْل الفتنة، وكان عليّ غيرَ راضٍ بقتْل عثمان ولا مُعينًا عليه، كما كان يحلفُ، فيقول: والله ما قتلتُ عثمان، ولا مالأْتُ على قتْلِه، وهو الصادق البارُّ في يَمينه، فخَشِي القَتَلَة، فحملوا على

[81] - رواه البخاري، (4829).

عسكر طلحة والزبير، فظنَّ طلحة والزبير أنَّ عَلِيًّا حمَلَ عليهم، فحملوا دِفاعًا عن أنفسهم، فظنَّ عليّ أنَّهم حملوا عليه، فحمَلَ دِفاعًا عن نفسه، فوقعتِ الفتنة بغير اختيارهم، وعائشة – رضي الله عنها – راكبة؛ لا قاتلتْ، ولا أمرتْ بقتالٍ، هكذا ذَكَره غيرُ واحدٍ من أهْل المعرفة بالأخبار.

وأمَّا قولُه: "وخالفتْ أمرَ الله في قوله – تعالى :- ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾]الأحزاب: 33]، فهي – رضي الله عنها – لم تتبرَّجْ تبرُّجَ الجاهلية الأولى، والأمرُ بالقَرار في البيوت لا يُنافي الخروج لمصلحة مأمورٍ بها، كما لو خرجتْ للحج والعُمرة، أو خرجتْ مع زوجها في سَفْرَة، فإنَّ هذه الآية قد نزلتْ في حياة النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وقد سافَرَ بهنَّ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – بعد ذلك، كما سافرَ في حَجة الوداع بعائشة – رضي الله عنها – وغيرها، وأرْسَلَها مع عبدالرحمن أخيها، فأرْدَفَها خَلْفَه، وأعمرها من التنعيم، وحَجة الوداع كانتْ قبل وفاة النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – بأقلِّ من ثلاثة أشهر بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواجُ النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – يَحْجُجْنَ – كما كنَّ يَحْجُجْنَ معه – في خِلافة عُمر – رضي الله عنه – وغيره، وكان عُمر يُوكِّلُ بقطارهنَّ عثمان أو عبدالرحمن بن عوف، وإذا كان سَفَرُهنَّ لمصلحة جائزًا، فعائشة اعتقدتْ أنَّ ذلك السفر مصلحةً للمسلمين، فتأوَّلتْ في ذلك.

وأما قوله" :إنها خرجتْ في ملأٍ من الناس تقاتِلُ عليًّا على غير ذنبٍ"، فهذا أولًا كذبٌ عليها؛ فإنَّها لم تخرجْ لقصْد القتال، ولا كان أيضًا طلحة والزبير قصْدهما قتال عليّ، ولو قُدِّرَ أنَّهم قَصَدوا القتال، فهذا القتال المذكور في قوله – تعالى :- ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا

بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾]الحجرات: 9-10.[

فجعَلَهم إخوةً مع الاقتتال، وإذا كان هذا ثابتًا لمن هو دون أولئك المؤمنين، فهم به أَوْلَى وأحْرَى!

وأمَّا قوله" :إنَّ المسلمين أجمعوا على قتْل عثمان."

فجوابه أنْ يُقالَ :هذا من أظهر الكذب وأبْيَنه؛ فإنَّ جماهير المسلمين لم يأمروا بقتْلِه، ولا شارَكوا في قتْلِه، ولا رَضوا بقتْلِه.

أمَّا أولًا؛ فلأنَّ أكثر المسلمين لم يكونوا في المدينة، بل كانوا بمكة واليمن والشام، والكوفة والبصرة وخُراسان، وأهلُ المدينة بعضُ المسلمين.

وأمَّا ثانيًا؛ فلأنَّ خيار المسلمين لم يدخلْ واحدٌ منهم في دَمِ عثمان؛ لا قَتَل ولا أمَرَ بقتْلِه، وإنما قتَلَه طائفة من المفْسِدين في الأرض مِن أوباش القبائل وأهْل الفِتَن، وكان عليّ – رضي الله عنه – يحلف دائمًا" :إنِّي ما قتلتُ عثمان، ولا مالأْتُ على قتْلِه"، ويقول" :اللهم الْعَنْ قتَلَة عثمان في البَرِّ والبحر، والسهل والجبل."

ثالثًا :مَن هو الذي نقَلَ هذا الإجماع من أهْل العلم؟ أم أنَّه يَكفي أنْ يأتي أحدُ الزنادقة ويخترعَ إجماعًا على أمرٍ يُدلل به على صِحَّة زَنْدَقَته وضَلاله، وما علينا إلا أن نُصدِّقَ ونتَّبِع؟

وأما قولُه" :إنَّ عائشة كانتْ في كلِّ وقتٍ تأمُرُ بقتْل عثمان، وتقولُ في كلِّ وقتٍ: اقتلوا نعثلًا، قتَلَ الله نعثلًا، ولَمَّا بلَغَها قتْلُه، فَرِحَتْ بذلك."

كان أعداءُ عثمان يسمُّونه: نعثلًا؛ تشبيهًا برجل من مصر، كان طويل اللِّحْية، اسمُه نَعْثَل، وقيل: النَّعْثَل: الشيخ الأحْمَقُ، وذَكَرُ الضِباع؛" النهاية في غريب الحديث"، (177/5)

ثم يُقال للردِّ على هذا الكلام أولًا :أين النقلُ الثابت عن عائشة بذلك؟!

ويُقال ثانيًا :المنقول الثابت عنها يُكذِّب ذلك، ويُبيِّن أنَّها أنكرتْ قتْلَه، وذمَّتْ مَن قتَلَه، ودَعَتْ على أخيها محمد وغيره؛ لمشاركته في ذلك.

ويُقال ثالثًا :هبْ أنَّ أحدًا من الصحابة – عائشة أو غيرها – قال في ذلك على وجْه الغضب؛ لإنكاره بعضَ ما يُنكر، فليس قولُه حُجة، ولا يَقْدح ذلك في إيمان القائل ولا المقول له، بل قد يكون كلاهما وليًّا لله – تعالى – مِن أهْل الجنة، ويظنُّ أحدُهما جوازَ قتْلِ الآخر، بل يظنُّ كفْرَه، وهو مُخْطِئ في هذا الظنِّ.

ويُقال رابعًا :إنَّ هذا المنقول عن عائشة من القدْح في عثمان إنْ كان صحيحًا، فإمَّا أنْ يكون صوابًا أو خطأً، فإنْ كان صوابًا، لم يُذْكرْ في مساوئ عائشة، وإنْ كان خطأً لم يُذْكَر في مساوئ عثمان، والجمْعُ بين نقْص عائشة وعثمان باطلٌ قطعًا.

وأيضًا فعائشة ظهَرَ منها – مِن التألُّم لقتْل عثمان، والذمِّ لقَتَلَته، وطلبِ الانتقام منهم – ما يَقتضي الندمَ على ما يُنافي ذلك إنْ وجِد، كما ظهَرَ منها الندمُ على مَسيرها إلى" الجَمَل"، فإنْ كانَ نَدَمُها على ذلك يدلُّ على فضيلة عَلِيّ واعترافها له بالحقِّ، فكذلك هذا يدلُّ على فضيلة عثمان واعترافِها له بالحقِّ، وإلاَّ فلا.

وأيضًا فما ظهَرَ من عائشة وجمهور الصحابة، وجمهور المسلمين من الملام لعليّ أعظمُ مما ظهَرَ منهم من الملام لعثمان، فإنْ كان هذا حُجَّة في لوم عثمان، فهو حُجة في لوم عليّ، وإنْ لم يكنْ حُجةً في لوم عليّ، فليس حجةً في لوم عثمان، وإنْ كان المقصودُ بذلك القدْحَ في عائشة، لما لامتْ عثمان وعليًّا؛ فعائشة في ذلك مع جمهور الصحابة، وإنِ اختلفتْ درجات الملام.

وأمَّا قولُه: "إنْها سألتْ :مَن تولَّى الخلافة؟ فقالوا: عليّ، فخرجتْ لقِتاله على دمِ عثمان، فأيُّ ذنبٍ كان لعليّ في ذلك؟

فيُقال له أولاً :قول القائل: إنَّ عائشة وطلحة والزبير اتَّهما عليًّا بأنَّه قتَلَ عثمان وقاتَلوه على ذلك – كذبٌ بيِّنٌ، بل إنَّما طلبوا القَتَلَة الذين كانوا تحيَّزوا إلى عليّ، وهم يعلمون أنَّ براءة عليّ من دمِ عثمان كبراءتهم وأعظم، لكنَّ القَتَلَة كانوا قد أَوَوْا إليه، فطلبوا قتْلَ القَتَلَة، ولكنْ كانوا عاجزين عن ذلك هم وعَلِيّ؛ لأنَّ القومَ كانتْ لهم قبائلُ يذبُّون عنهم.

والفِتنة إذا وقعتْ، عَجَزَ العقلاءُ فيها عن دَفْع السفهاء، فصار الأكابر – رضي الله عنهم – عاجزين عن إطفاء الفتنة وكفِّ أهْلِها، وهذا شأْنُ الفِتن كما قال – تعالى :- ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾]الأنفال: 25.[

وإذا وقعتِ الفتنة لم يسلمْ من التلوث بها إلاَّ مَن عصَمَه الله.

وأيضًا فقوله" :أيُّ ذنبٍ كان لعليّ في قتْلِه"، تناقُضٌ منه؛ لأنَّه يَزْعُم أنَّ عَليًّا كان ممن يستحِلُّ قتْلَه وقِتاله، وممن ألَّبَ عليه وقامَ في ذلك، فإنَّ عليًّا – رضي الله عنه – نسَبَه إلى قتْل عثمان كثيرٌ من شيعته ومِن شيعة عثمان؛ هؤلاء لبُغْضهم عثمانَ، وهؤلاء لبُغْضهم عَليًّا، وأمَّا جماهيرُ المسلمين، فيعلمون كَذِبَ الطائفتين على عليّ.

والرافضة تقول: إنَّ عليًّا كان ممن يستحِلُّ قتْلَ عثمان، بل وقتْلَ أبي بكر وعُمر، وترى أنَّ الإعانة على قتْله من الطاعات والقُربات، فكيف يقول مَن هذا اعتقادُه :أيُّ ذنبٍ كان لعليّ على

ذلك؟ !وإنَّما يَليق هذا التنزيه لعليّ بأقوال أهل السُّنة، لكنَّ الرافضة من أعظمِ الناس تناقُضًا؛ بتصرُّف من كتاب" أم المؤمنين عائشة"؛ لشيخ الإسلام، جمْع وتقديم وتحقيق محمد مال الله.

المطعن الخامس :زعَمَ بعضُ المؤرِّخين أنَّ الزبير بن العوَّام أكْرَه السيدة عائشة على الخروج في معركة" الجَمَل."

الجواب:

زعَمَ بعضُ المؤرِّخين – كابن قتيبة في" الإمامة والسياسة"، واليعقوبي في تاريخه وغيرهما – أنَّ الزبير بن العوام أكْرَه السيدة عائشة على الخروج في معركة" الجَمَل"، وهذا غيرُ صحيح؛ فقد قامتِ السيدة عائشة بالمطالبة بثَأْر عثمان منذ اللحظة التي عَلِمتْ فيها بمقْتِله – رضي الله عنه – وقبل أنْ يصِلَ الزبير وطلحة وغيرُهما من كبار الصحابة إلى مكة؛ ذلك أنَّه قد رُوِي أنَّها لَمَّا انصرفتْ راجعةً إلى مكة، أتاها عبدالله بن عامر الحضرمي، فقال" :ما ردَّكَ يا أُمَّ المؤمنين؟ قالتْ: ردَّني أنَّ عثمان قُتِل مظلومًا، وأنَّ الأمرَ لا يستقيمُ ولهذه الغوغاء أمرٌ، فاطلبوا دمَ عثمان تعزُّوا الإسلامَ، فكان عبدالله بن الزبير أوَّلَ مَن أجابَها"؛ كما في

ولَم يكنْ طلحةُ والزبير قد خرجا من المدينة، وإنما خرجا منها بعدَما مرَّ على مقْتَل عثمان أربعةُ أشهر؛ [82]

[82] - انظر" :دور المرأة السياسي"، ص (383)، و"تاريخ الطبري"، (469/5)،(475/5).، و"سيرة علي بن أبي طالب"؛ للصلابي، ص (467) .

المطعن السادس :زعَمَ بعضُ الكُتَّاب أنَّ السيدة عائشة كانتْ مُتسلِّطة على مَن معها ومُسْتبدَّة بقولها.

الجواب:

كان فيمن خرَجَ معها – رضي الله عنها– جمْعٌ من الصحابة، و لم تكنْ السيدة عائشة المرأة المتسلِّطة التي تحرِّكُ الناس حيثُ شاءَتْ – كما زعَمَ بروكلمان، ولقد أكَّدتْ روايات الطبري تأييدَ أُمَّهات المؤمنين لها، ولِمَن معها في السعي للإصلاح، بل وتأييد عددٍ غيرِ قليلٍ من أهْل البصرة لها، وكان هذا العددُ غيرُ القليل ممن لا يُستهان بهم، فلقد وصَفَهم طلحة والزبير بأنَّهم خيارُ أهْل البصرة ونجباؤهم، ووصَفَتْهم السيدة عائشة بأنهم الصالحون، وما كان خروجُ هذا العدد من الصالحين إلاَّ عن اعتقادٍ راسخٍ بجدْوَى هذا الخروج وصواب مَقْصِده، وكان أميرُ المؤمنين يعلمُ هذا، ويردُّ الزَّعْم الذي زعَمَه البعضُ مِن أنَّ الخارجين مع السيدة عائشة كانوا جموعًا من السُّفَهاء والغوغاء والأوباش، فلقد وقَفَ أميرُ المؤمنين – بعد معركة" الجَمَل - "بين القتْلى من فريق عائشة، يترحَّمُ عليهم ويذكُر فضْلَهم؛ [83]

المطعن السابع :مرور السيدة عائشة على ماء الحَوْأَب، وقد قال النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((كيف بإحداكُنَّ تنبحُ عليها كلابُ الحَوْأَب.))

فمرورُها مخالفة لأمرِ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ونفْي صفة الاجتهاد عنها.

الجواب:

---

[83] - انظر":دور المرأة السياسي"، ص (385)، و"تاريخ الطبري"، (5/ 475)، و"سيرة علي بن أبي طالب"؛ للصلابي، ص (468)

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة – رحمه الله –: فإنَّ عائشة لم تقاتِلْ، و لم تخرجْ لقتالٍ، وإنَّما خرجتْ لقصْد الإصلاح بين المسلمين، وظنَّتْ أنَّ في خروجها مصلحةً للمسلمين، ثم تبيَّنَ لها فيما بعد أنَّ ترْكَ الخروج كان أَوْلَى، فكانتْ إذا ذَكَرَتْ خروجَها تبكي حتى تبُلَّ خمارَها، وهكذا عامَّة السابقين نَدِموا على ما دَخَلوا فيه من القتال، فنَدِم طلحة والزبير وعلي – رضي الله عنهم أجمعين – و لم يكنْ" يوم الجَمَل "لهؤلاء قصدٌ في الاقتتال، ولكن وقَعَ الاقتتال بغير اختيارهم؛ ا.هـــ.[84]

فإنَّ الأمرَ الذي يتعلَّق بأُمِّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أنَّها شاركتْ بالفعل غير صحيح، بل غاية ما في الأمرِ أنَّها خرجتْ و لم تباشرْ قتالًا، وكانت متأوِّلة في خروجها للبصرة؛ حيث ظنَّتْ أنَّ القضاء على قتَلَة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – هناك كفيلٌ في الإصلاح بين معاوية ومَن معه في الشام، وبين علي ومَن معه في المدينة، بل جاءَتْ على جَمَلِها وسط المعركة ظانَّةً أنَّهم سيوقِفون الحرب، لكنَّ الخوارجَ وأهْلَ الفتنة أَبَوْا ذلك واستمرُّوا في القتال، بل قد نالتْ سهامُهم جَمَلَها؛ حتى سقَطَ في أرض المعركة.

فكما ترى، فإنَّ عائشة – رضي الله عنها – قد صدَرَ منها مخالفة في خروجِها للبصرة، وليستْ هي بمعصومة حتى لا يقع منها مثلُ هذا الخطأ بذلك التأويل.

عن قيس بن أبي حازم، قال: لَمَّا أقبلتْ عائشة – رضي الله عنها – بلغَتْ مياه" بني عامر "ليلًا، نبحتْ الكلابُ، قالت :أيُّ ماءٍ هذا؟ قالوا: ماء" الحَوْأَب - "ماء قريب من البصرة على طريق مكة – قالتْ: ما أظنُّني إلا أنَّني راجعةً، فقال بعضُ مَن كان معها" :بل تَقْدِمين فيراكِ المسلمون،

[84] - منهاج السنة(4 / 316)

فيصلح الله ذاتَ بينهم"، قالتْ: إنَّ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال لها ذات يومٍ: ((كيف بإحداكُنَّ تنبحُ عليها كلابُ الحَوْأَب؟.))

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني — قدس الله روحه :- ليس كلُّ ما يقعُ مِن الكُمَّل يكون لائقًا بهم؛ إذ المعصوم من عصَمَه الله، والسنيُّ لا ينبغي له أنْ يغالي فيمن يحترمُه؛ حتى يرفعه إلى مصافِّ الأئمة الشيعة المعصومين عندهم، ولا نشكُّ أنَّ خروجَ أمِّ المؤمنين كان خطأً مِن أصْله، ولذلك همَّتْ بالرجوع حين عَلِمتْ بتحقُّقِ نبوءة النَّبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – عند" الحَوْأَب"، لكنَّ الزبير – رضي الله عنه – أقْنَعَها بتركِ الرجوع بقوله" :عسى الله أنْ يُصْلحَ بكِ النَّاس"، ولا نشكُّ أنَّه كان مُخْطِئًا في ذلك أيضًا، والعقْلُ يقطع بأنَّه لا مَناصَ مِن القول بتخْطِئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللَّتين وقَعَ فيهما مئات القَتْلَى، ولا شكَّ أنَّ عائشةَ – رضي الله عنها – هي المخْطِئة لأسبابٍ كثيرةٍ، وأدلَّةٍ واضحةٍ؛ منها: نَدَمُها على خروجها، وذلك هو اللائق بفضْلِها وكمالها، وذلك مما يدلُّ على أنَّ خطأها مِن الخطأ المغفور، بل المأجور.[85]

قال الذهبي – رحمه الله" :- ولا ريبَ أنَّ عائشة نَدِمتْ ندامةً كليَّةً على مَسيرها إلى البصرة، وحضورها يوم "الجَمَل"، وما ظنَّتْ أنَّ الأمرَ يبلغُ ما بلَغَ ."[86]

ومن العجب ما أورده القومُ من شُبَه مُتهافتة، وزعْمهم أنَّ خروجَها يَنفي عنها صفةَ الاجتهاد؛ فإنَّ العالم الفقيه لو أخطأ في مَسألة، أو تأوَّل، واستفرَغَ الوسع فيها، فإنَّه لا يخلو مِن أجْرٍ، أو أجْرَين، و لم يقلْ أحدٌ مِن الأُمَّة بسقوط مَرتبة الاجتهاديَّة، أو الحطِّ من قَدْره، والله أعلم.

---

[85] -" السلسلة الصحيحة"، الحديث رقم (474)

[86] - سِيَر أعلام النبلاء"، .(2 / 177)

المطعن الثامن :ادِّعاء الشيعة أنَّ عائشةَ مَنَعتْ من دَفْنِ الحسن بن علي عند جَدِّه – صلَّى الله عليه وسلَّم.

الجواب:

مِن عادة الشيعة عند اختراعهم للأكاذيب، واختلاقهم للإفْك أنْ يجعَلوا مع الكلمات الكاذبة كلمةً واحدة صادقة؛ كي يُوهموا السُّذَّج بإنَّ ما اخترعوه ثابتٌ، وما اختلقوه صادقٌ.

وهذه طريقة مَرَدة الجِنِّ مِن مُسترقي السمع، وأوليائهم من شياطين الإنس، يجعلون مع الكلمة الصادقة مائةَ كذبة؛ فقصة موت الحسن بن علي واستئذان أخيه الحسين من عائشة بأنْ يُدْفَنَ عند جَدِّه ثابتة في كُتب السُّنَّة، أما ممانعة الصِّدِّيقة، وركوبها على بغْلٍ، وخروجها إلى الناس، فكل ذلك من التُّرَّهات والأكاذيب، فلم تكنْ أُمُّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – تمانِعُ من دَفْن الحسن بن علي – رضي الله عنهما – عند جَدِّه – صلَّى الله عليه وسلَّم – بل لقد وافقَتْ على ذلك، وقالتْ لأخيه الحسين – رضي الله عنه – لَمَّا استأذَنَها في دَفْن الحسن" :نَعَم، وكَرامة عين"؛ كما روى ذلك ابنُ عبدالبر من طُرق مُتعددة.[87]

ولكنَّ الذي منَعَ من دَفْنِ الحسن عند جَدِّه رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – هو مروان بن الحَكَم الذي أقبَلَ لَمَّا بلَغَه ذلك، وقال" :كذب، كذبتَ، والله لا يُدْفَن هناك أبدًا، منعوا عثمان مِن دَفْنه بالمقبرة، ويريدون دَفْن الحسن في بيت عائشة؟!.[88]

---

[87] - انظر" :الاستيعاب"، (**1/376–378**)،" سِيَر أعلام النبلاء"؛ للذهبي، (**3/ 275 – 279)**

[88] - انظر" :الصاعقة في نسْفِ أباطيل وافتراءات الشيعة على أُمِّ المؤمنين عائشة"، ص (**141– 142.(**

المطعن التاسع :ادِّعاء الشيعة أنَّ عائشة – رضي الله عنها – هي أوَّل مَن رَكِب السروج.

الجواب:

هذا كذبٌ أصْلَعُ وله قَرنان، ورغم كذب هذه الدعوى من أصْلها، فإنه يوجَدُ ما يَنْقضُها في كتب القوم أنفسِهم؛ فقد رَوَوا أنَّ فاطمة – رضي الله عنها – رَكِبتْ بغلةً يومَ عُرْسها، [89]

وأنَّ عليًّا أرْكَبَها على حمارٍ ودارَ بها على بيوت المهاجرين والأنصار يدعوهم إلى نُصْرته لَمَّا بُويع لأبي بكر بالخلافة على حدِّ زعمهم.[90]

المطعن العاشر :ادِّعاء الشيعة أنَّ عائشة لم تَتُبْ من مُعاداتها لعَلِي – رضي الله عنه – وحربِها له، وبكائها بعد المعركة لم يكنْ دليلًا على الندم، بل لأنها فَشِلتْ في المعركة، ولم تحقِّقْ مأربَها في النَّيْل مِن عَلِيّ والانتقامِ منه.

الجواب:

لقد تقدَّم أنَّ أُمَّ المؤمنين — رضي الله عنها – ومَن خَرَجَ إلى البصرة لم يكنْ مُرادُهم قتالَ عَلِي، وإلاَّ لكانتْ وِجْهتُهم المدينة بدلًا من البصرة، بل كان مرادُهم الإصلاح، والطلبُ بدمِ عثمان – رضي

---

[89] - وانظر" :كشف الغُمَّة"، للإربلي الشيعي ، (1/ 368).

[90] - انظر" :السقيفة"؛ لسليم بن قيس، ص (81)، و"الاحتجاج"؛ للطبرسي، ص (81 – 82)، و"الصاعقة في نسْفِ أباطيل وافتراءات الشيعة"، ص (144).

الله عنه – وكانتْ عائشة تَرى أنَّ في خروجِها مصلحةً للمسلمين، ثم تبيَّنَ لها فيما بعد أنَّ ترْكَ الخروج كان أَوْلَى، فكانتْ إذا ذكَرَتْ خروجَها تبكي؛ حتى تبُلَّ خمارَها، وتقول: والله لوَدِدْتُ أنْ مِتُّ قبلَ هذا اليوم بعشرين سنة". [91]

وكانتْ – رضي الله عنها – تتذكَّرُ أحداثَ" الجَمَل "وتبكي؛ فقد أخرَجَ الطبري عن عبدالرحمن بن جُنْدَب عن أبيه عن جَدِّه: "كان عمرو بن الأشرف قد أخَذَ بخُطام الجَمَل، لا يدنو منه أحدٌ إلا خبطه بسيفه، إذا أقْبَلَ الحارث بن زهير الأزدي وهو يقول يَعني عمرو بن الأشرف:

يَا أُمَّنَا يَا خَيْرَ أُمٍّ نَعْلَمُ

أَمَا تَرَيْنَ كَمْ شُجَاعٍ يُكْلَمُ

وَتُخْتَلَى هَامَتُهُ وَالْمِعْصَمُ

فاختلفا ضرْبتين، فرأيتهما يفْحَصان الأرض بأرْجُلهما حتى ماتا، فدخلتُ على عائشة – رضي الله عنها – بالمدينة، فقالتْ :مَن أنت؟ قلتُ: رجلٌ من الأزد، أسْكُن الكوفة، قالتْ :أشَهِدْتَنا يومَ الجَمَل؟ قلتُ: نعم، قالتْ :ألَنَا أم عَلينا؟ !قلتُ :بل عليكم؟ قالتْ: أتعرفُ الذي يقول:

يَا أُمَّنَا يَا خَيْرَ أُمٍّ نَعْلَمُ

---

[91] - انظر" :الطبقات"، **(8 /18)**، و"السِّير"، (**177/2**)، و"منهاج السُّنة"، (**316/4**) .

قلتُ: نعم! ذاك ابنُ عمِّي، فبكتْ؛ حتى ظننْتُ أنَّها لا تَسْكُت.[92]

ومثلُ عائشة في اجتهادِها مثل عَلِي حين ترَكَ المدينة، وجعَلَ عاصمة خلافته الكوفة، و لم يقمْ فيها كما أقامَ الرسول والخلفاء مِن بعده، و لم يتركْ علي المدينة رغبةً عنها، بل اجتهدَ وأخطأ.

وإذا عَلِم هذا تبيَّنَ أنَّ عائشة كانتْ تبكي على ترْكِها الأَوْلَى، وعلى خطئِها المغفور لها في اجتهادها، لا على الهزيمة وفَوتِ النصر على عَلِي، كما زعَمَ الروافضُ.

"أمَّا ما زَعَمَ الروافض – قبَّحهم الله – من استمرار عَداوة عائشة – رضي الله عنها – لعَلِي، وعدم توْبَتها، واستدلاهم على ذلك بالكَذب والأباطيل وحكايات مَكْذوبة، فزعمٌ باطلٌ؛ لأنَّ كلَّ الأدلة التي استدلُّوا بها على استمرار العَداوة بين عائشة وعَلِي هم رُواتُها، ومعلوم أنَّ رواية المبْتَدِع لا تُقْبَل إذا رَوى ما يُوافق بِدْعَته، وما نسبوه إلى الطبري، فضعيفٌ، ورُوِي بصيغة التمريض.

ويَرُدُّ هذا الزعم أيضًا ما ثبَتَ عن أمير المؤمنين عَلِي – رضي الله عنه – من أنَّه أقرَّ عائشة على قولها إثْرَ معركة الجَمَل" :والله ما كان بيني وبين عَلِي في القديم، إلاَّ ما يكون بين المرأة وأحمائها "فقال علي – رضي الله عنه" :- صدقت والله وبَرَّتْ، ما كان بيني وبينها إلاَّ ذلك."

---

[92] -" تاريخ الطبري"، (211/5)

1- إنَّ عائشة - رضي الله عنها - كانتْ علاقتُها بعَلِي علاقة طيِّبة فيها البرُّ والوفاء؛ إذ هي التي رَوت حديث الكِساء في فضْل عَلِي وفاطمة، والحسن والحسين، والحديث أخرجَه مسلم.

2- وأخبرتْ عن مَحبَّة رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - للحسن بن علي - رضي الله عنهما - والحديث أخرجَه مسلم.

3- وكانتْ كثيرًا ما تُحيلُ السائل على عَلِي ليجيبَه، فقد أحالتْ" شُريح بن هانئ - "لَمَّا سألَها عن المسحِ على الخُفَّين - على عَلِي، وقالتْ له" :عليك بابن أبي طالب فسَلْه؛ فإنَّه كان يُسافر مع رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم"؛ رواه مسلم.

4- ولقد طلبتْ من الناس بعد مَقْتل عثمان أنْ يلزموا عليًّا ويبايعوه، وبعضُ الشيعة يعترف بذلك.[93]

اللهمَّ اعصمْنا بالتقوى، واحفظْ علينا حُبَّنا لرسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وصحابته، وأزواجِه، وآلِ بيته كما ترضى؛ إنَّك جَوَاد كريمٌ.

---

[93] - انظر" :فتح الباري"، (**13/29-48**) وكتاب" الجمل"؛ لمؤلّفه الشيعي المفيد، ص (**73**)،" الصاعقة في نسْف أباطيل وافتراات الشيعة على أُمِّ المؤمنين عائشة"، ص (**236 – 240**)

الخاتمة

فدُونك أخي القارئَ ، هذا البحثَ، وهذِه الشذراتِ مِن سيرةِ أمِّ العفاف ، مع دفْع صائل الرَّوافض – قبَّحهم الله – الذين لا يَنتهون عن الوقيعةِ في عِرْض أزواجِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وقدْ جرَّدتُ قلمي في الذودِ عن عِرضها ، وتفنيدِ الشبهات المثارَة حولَ سيرتِها رضي الله عنها.

فإنَّ الفرْدَ في هذا الزمان أشدُّ حاجةً لليقظة والانتباه ممَّا كان عليه أسلافُه المسلمون في العصور الماضية، لقدْ كان أسلافُه يعيشون في وسَطٍ إسلامي تسودُه الفضائل، ويعمُّه التواصي بالحقِّ.. وتتوارى فيه الرذائل عن أعينِ العلماء ، وسيوف الأمراء، أمَّا اليوم فإنَّ المدنيةَ السفيهةَ الحديثة قدْ جعَلت كُفرَ جميع مذاهبِ الكفَّار وشهواتِهم وشُبهاتِهم مسموعةً مُبْصَرةً ، مزخرفةً عن طريق الإذاعاتِ والشبكات، والصحف والقنوات ، تتسلَّق وتتسلَّل إلى أعماقِ القلوبِ الجوفاء والبيوتاتِ، ويَنعَق فيها التافهون في أمْر العامَّة والرُّوَيبضاتُ، ويجذبونهم إلى باطلِهم بكل ما يملكون مِن إمْكانات.

وأخيرًا:

هذه صورٌ موجزة مِن حياة أمِّ العفاف، وهي غيضٌ مِن فيض ، وقَطْر مِن بحر، والصور ذات العِبر من حياتها واللهِ الذي لا إله إلا هو لا يُمكن إدراكُها في مِثل هذه العجالة مِن الوقت.

لكني أقول: ما المناهجُ التي خرَّجت مِثل هذا النموذج؟

وما الثقافةُ التي نَهَلتْ منها؟

وما التربيةُ والتوجيهُ الذي جعلتها تقومُ بهذا الدور؟

إنَّ المناهج التعليميَّة والتربويَّة والثقافيَّة التي خرَّجتْ أمثال عائشة ما زالتْ بيْن أيدينا، وتحتَ أسماعِنا وأبصارِنا، ما أجدرَنا – نحن المسلمين ؛ رجالاً ونساء، شِيبًا وشبابًا – أن نقِف على هذِه المناهجِ وقْفةَ الضَّنين على الثروةِ الرَّائعة، والظمآنِ على الماءِ البارد، لنُعدَّ ونَنهَلَ ، ونَقِف ونَتذكَّر ونَذكُر!

ما أجدَرَنا أن نقف على صُور هؤلاء العظماء ؛ لنتخذها نبراسًا نَسير على ضوئِه بتربية أنفسنا وأبنائنا، وتنشئة جيل مؤمنٍ بالله ورسوله، ويؤمِن بصلاحية هذا الدِّين وهذا المنهجِ لكلِّ زمان

ومكان؛ جيل يُضحِّي بكلِّ شيءٍ في سبيل سيادة دِينه، لا يَثنيه عن هذه الغايةِ الشريفة بلاءٌ ولا إيذاء، ولا طمعٌ ولا إغْراء، لسْنا نُريد الوقوفَ على هذه الصور لتكونَ حصيلةً علميَّة نتشدَّق بها في المحافلِ والنوادي، ونتفيهَق بها في المساجِد ؛ لنَحظى بالثناءِ ، ونَنتزِع مِن السامعين مظاهرَ الإعجاب!

لا والله ، إنَّنا نريد أن تُكوِّنَ هذه الأحداثَ الصادقةَ مِن تاريخنا مدرسةً نتخرَّج بها كما تخرَّج أولئك السادة الأوَّلون ؛ لنكونَ مَثلاً صادقًا لهم في إيمانهم وعِلمهم وعمَلهم ، وأخلاقهم وسلوكهم وقياداتهم؛ حتى يعتزَّ بنا الإسلامُ كما اعتزَّ بهم، وما ذلِك على الله بعزيز.

وما سطرتْ وخطَّتْ يداي كتابةَ هذا البحث إلَّا ذبًّا عن أمِّنا أمِّ العفافِ عائشة رضي الله عنها وأرضاها، ولعنة الله على مَن أبغضَها وعاداها، ولِيَعلمَ الزنادقةُ اللئام، والراوفض المنكوسون الطَّغام[94]، أنَّ أمَّنا لها جيلٌ يدافع عنها، ويَفضَح عوار مَن انتقصَها، وقدْ برَّأها الله ممَّا رمَاها به المُفلِسون من الكفَّار والمنافقين.

وإلى إخواني الباحثين: مَن وجَد في بحْثي هذا شيئًا يخالف السنَّة واعتقادَ أهلِها :

أوَّلاً :فإنِّي راجعٌ إلى السنَّة؛ لأنَّها مذهبي.

ثانيًا: أن يَستُرَ ذنبي ويدْعو لي.

ثالثًا : أن يُرسِل لي الخطأَ مَكتوبًا لاستدراكِه – إن شاء الله تعالى.

وأسال الله أن يجعلَ هذا العملَ في ميزان حسَناتي يوم أُدْرَج في أكفاني، وأن يكونَ مِن الحسنات التي تكون بعدَ الممات.

فاللهم إنَّا نُشهِدك على حبِّنا لنبيِّك محمَّد – صلى الله عليه وسلم – وصحابتِه الكِرام، وزَوجاتِه الطاهراتِ، أمَّهات المؤمنين.

اللهمَّ ألحِقْنا بهم، اللهمَّ احشُرْنا في زُمرتِهم وإنْ قصُرتْ أعمالُنا وأخلاقُنا عنهم.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحْبه وسلَّم

---

[94] والطغامُ: هم أوغاد الناس؛ كا في الصحاح للجوهري (5 / 1975).

أهم المراجع

1 - فتح الباري.

2 - صحيح مسلم بشرح النووي.

3 - السنن الأربعة.

4 - المستدرك للحاكم.

5 - تهذيب التهذيب لابن حجر.

6 - سير أعلام النبلاء للذهبي.

7 - تهذيب الكمال للمزي.

8 - الطبقات لابن سعد.

9 - صحيح الجامع للألباني.

10 - البداية والنهاية لابن كثير.

11 - أم المؤمنين عائشة لابن تيمية، جمع وتحقيق محمد مال الله.

12 - سيرة علي بن أبي طالب للصلابي.

13 - منهاج السنة النيوبة لابن تيمية.

14 - زاد المعاد لابن القيم.

15 - سيرة علي بن أبي طالب للصلابي

16 – الصاعقة في نسْف أباطيل وافترات الشيعة على أُمِّ المؤمنين عائشة

17 – السقيفة لسليم بن قيس